التعليقات

على

كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

١١١٥ - ١٢٠٦هـ

تعليق فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح بن عثيمين

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

دار المعالي

المؤتمن للتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليقات
على
كشف الشبهات

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

دار المعالي

ص.ب: ١١٣٠/١٣
بيروت - لبنان

المؤمن للتوزيع

ص.ب ٦٩٧٨٦ الرياض ١١٥٥٧

الرياض ☎ : ٤٦٤٦٦٨٨ فاكس: ٤٦٤٢٩١٩

الدمام ☎ : ٨٣٦٤٢٨٢ فاكس: ٨٣٦٤٢٨٢

القصيم ☎ : ٣٦٤٤٨١٥ فاكس: ٣٦٤٤٨١٥

جدة ☎ : ٦٨٧٣٥٤٧ فاكس: ٦٨٧٣٥٤٧

[مقدمة الناشر]

إنّ الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد:

فإنّ كتاب **«كشف الشبهات» للإمام المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه اللّه**، من الكتب الهامة التي تتابع العلماء على شرحها والتعليق عليها وتقريب فوائدها لطلبة العلم خاصة والنّاس عامة، وذلك لما حواه هذا الكتاب -على قلة صفحاته- من ردود داحضة وحجج دامغة على الشبهات التي يثيرها أعداء التوحيد ومتخذي الوسائط بين الخلق والخالق.

وكتاب «كشف الشبهات» أَلّفَهُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليرد فيه على شبهات طرحها بعض معاصريه مبتغين بذلك تحليل وإجازة اتخاذ واسطة بينهم وبين اللّه عز وجل تقربهم إليه كنبي مرسل أو مَلَك مقرب أو رجل صالح، ناسين أو متناسين أنّ هذا هو الشرك بعينه الذي بعث اللّه الرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم لنقضه وكشف زيفه، وتعبيد العباد للّه وحده دون شريك أو واسطة.

وقام الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين حفظه اللّه بالتعليق على هذا الكتاب، وإبراز فوائده، في دروس وحلقات ألقاها على تلاميذه في مسجد «الجامع الكبير» في عنيزة. وقام بعض تلاميذه بتفريغ المادة المشروحة من أشرطة التسجيل ونسخِها ومراجعتِها وتنقيحِها والتعليق على بعض النقاط بزيادة إيضاح إن لزم الأمر أو تخريج الأحاديث الواردة.

[**عملنا في هذه الطبعة**] :

وكي تعم الفائدة رأينا أن ندفع الكتاب للطباعة، بعد أن قمنا بضبط المادة،

ووضع عناوين للفصول معتمدين على نسخة كشف الشبهات التي علّق عليها الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع[1] وطبعتها الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٤هـ.

ولتمام الفائدة أثبتنا بعض تعليقات الشيخين محمد حامد الفقي ومحمد ابن عبد العزيز بن مانع في الهامش، لعل في ذلك زيادة منفعة وإيضاح.

وقدمنا بين يدي الشرح بترجمة موجزة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهُ اللّه، وأخرى للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين حفظه اللّه.

سائلين اللّه أن يجعل حسنات هذا الكتاب في ميزان مؤلفه، وشارحه، وناسخه، ومن قام على طبعه ونشره، وكل من لهُ يدٌ فيه، وأن يعفو عن الزلل والخطل.

والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين

---

(١) هو الشيخ الفقيه الحافظ الأديب محمد بن عبد العزيز بن مانع الوهيبي التميمي ولد في عنيزة «سنة ١٣٠٠ هـ» ونشأ فيها، ورحل في طلب العلم إلى بريدة فالبصرة، فبغداد، واستقر في الأزهر بمصر، ثم انتقل إلى دمشق ولازم الشيخ جمال الدين القاسمي، ثم رجع إلى بغداد فأكثر من ملازمة الشيخ محمود شكري الألوسي، ثم عاد إلى عنيزة سنة ١٣٢٩هـ. ودعي للتدريس في البحرين سنة ١٣٣١هـ فأجاب، واستدعاه أمير قطر فولاه الإفتاء والوعظ والقضاء. ودعاه الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٥٨هـ فدرّس في الحرم المكي، وولي رئاسة محكمة التمييز بمكة، ثم عيِّن مديراً للمعارف بها، ورئيساً لهيئة تمييز القضاء الشرعي.

ثم طلب حاكم قطر من السعودية انتدابه للعمل فيها سنة ١٣٧٧هـ فأقام في قطر. وتوفي رحمهُ اللّه سنة ١٣٨٥هـ. في بيروت وهو يستشفى بها بسبب مرض اشتدّ عليه، ونقل إلى قطر ودفن بها.

وله كتب مختصرة، منها «مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد–ط» و «سبل الهدى في شرح شواهد شرح قطر الندى–ط» و «الكواكب الدريّة على الدرة المضيئة للسفاريني–ط» وغيرها. بتعريف واختصار يسير من «الإعلام» للزركلي (٦/٢٠٩).

ترجمة موجزة للشيخ

محمد بن عبد الوهاب رحمهُ اللّه

هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهيبي التميمي، ولد في العُيينة من أعمال نجد سنة ١١١٥هـ ونشأ فيها، وكان والده قاضيها وجده سليمان من كبار علماء نجد.

طلب العلم أولاً على والده، ثم ارتحل في طلب العلم إلى الإحساء والبصرة والحجاز، ثم رجع إلى نجد وقد امتلأ علماً فبدأ بدعوته الإصلاحية، حاثاً الناس على التمسك بالكتاب والسنة وإخلاص الدين للّه وحده، ونبذ الضلالات والبدع والشرك باللّه. ودعا الأمراء لتطبيق أحكام الشرع، وكاتب العلماء في شتى بلادهم حاضاً إيّاهم على نشر العلم بين النّاس وتصحيح عقائدهم، ونُصح الأُمراء وإرشادهم.

لكنّ دعوته لم ترق لبعض المنتسبين للعلم وأصحاب المصالح من الأمراء والعلماء، فضايقوه وآذوه، فاضطر لمغادرة العيينة عام ١١٥٧هـ إلى الدرعية عارضاً دعوته على أميرها محمد بن سعود رحمهُ اللّه الذي وافقه وأيده وعاهده على نصرته والدفاع عن الدين والعمل بالكتاب والسنن، ومحاربة الشرك والبدع، والجهاد في سبيل اللّه.

ولم يمضِ على دعوته إلاّ القليل حتى كانت شبه الجزيرة قد آبت إلى التوحيد والعمل بشرع اللّه.

وقد لاقت دعوته تأييداً وقبولاً من العلماء الصادقين في البلاد القريبة والبعيدة، وكان لها أثراً واضحاً في حركات الإصلاح التي قامت في باقي البلاد

الإسلامية توفي الشيخ رحمهُ اللّه في الدرعية قرب مدينة الرياض سنة ١٢٠٦هـ.
وقد ترك العديد من الكتب النافعة منها:

١- كتاب «التوحيد الذي هو حق اللّه على العبيد»، وقد قام على شرحهِ عددٌ من جهابذة العلماء.

٢- و«كشف الشبهات».

٣- و«مختصر السيرة النبوية».

٤- و«مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد».

٥- و«مسائل الجاهلية» وغير ذلك.

وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع مؤلفاته وأخرجتها في عدة مجلدات.

وما زالت مؤلفاتهُ رحِمَهُ اللّه واجتهاداته ومسيرته منبعاً يستقي منها جميع المخلصين.

ترجمة موجزة[1]
لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
حفظه اللّه تعالى

* **نسبه:** هو أبو عبداللّه محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي.

* **مولده:** ولد في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.

* **نشأته:** قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمهُ الله فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وقد وهب اللّه الشيخ ذكاء وزكاء، وهمّة عالية، وحرصاً على التحصيل. وكان الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمَهُ اللّه قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرّسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي والثاني الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه اللّه، قرأ عليه «مختصر العقيدة الواسطية» للشيخ عبد الرحمن السعدي و«منهاج السالكين» في الفقه للشيخ عبد الرحمن أيضاً، و«الأجرومية» و «الألفية».

وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه.

* وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي صاحب التفسير المعروف والكتب النافعة الذي يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير

---

(١) باختصار عن المبحث القيم الذي كتبه تلميذه الشيخ وليد الحسين في مجلة الحكمة – العدد الثاني ص١٩ تحت عنوان (نبذة عن حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين).

والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.

وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه رحمهُ اللّه فعندما انتقل والد الشيخ محمد –رحمهُ اللّه– إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه فضيلة ولده الشيخ حفظه اللّه فكتب له الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه اللّه «إنّ هذا لا يمكن نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد».

ويقول فضيلة الشيخ حفظه اللّه: «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبد الرحمن رحمه اللّه كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة وكان رحمه اللّهّ على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً».

* وفي المعهد العلمي دَرَسَ الشيخ حفظه اللّه على يد الشيخ المفسر اللغوي محمد الأمين الشنقيطي، المتوفى عام ١٣٩٣هـ صاحب تفسير «أضواء البيان» .

يقول الشيخ ابن عثيمين عنه: (كنا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض، وكنا جالسين في الفصل، فإذا بشيخ يدخل علينا، إذا رأيته قلت: هذا بدوي من الأعراب، ليس عنده بضاعة من علم، رثّ الثياب، ليس عليه آثار الهيبة، لا يهتم بمظهره، فسقط من أعيننا، فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي، وقلت في نفسي: أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي، وأجلس أمام هذا البدوي؟ فلما ابتدأ الشنقيطي درسه انهالت علينا الدرر من الفوائد العلمية، من بحر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء وفحل من فحولها، فاستفدنا من علمه، وسمته، وخلقه وزهده، وورعه).

* وقرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –أثناء وجوده في الرياض– حيث يعتبر شيخه الثاني، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ

الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ: «تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز حفظه اللّه من جهة العناية بالحديث وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس».

ولمّا فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها عام ١٣٧٢هـ، يقول الشيخ حفظه اللّه:

دخلتُ المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقتُ به بمشورة من الشيخ علي الصالحي وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي عليه رحمةُ اللّه تعالى، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام. فكنت في القسم الخاص. وكان في ذلك الوقت أيضاً من شاء أن يقفز -كما يعبرون- بمعنى أنّه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن» أهـ.

وبعد سنتين تخرج وعُيِّنَ مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدي.

* ولمّا توفي فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمهُ اللّه سنة ١٣٧٦هـ تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ولفضيلة الشيخ حفظه اللّه نشاط كبير في الدعوة إلى اللّه عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وتتلمذ على يديه وما زال كثير من طلبة العلم، وتتميز دروس الشيخ حفظه اللّه بوضوح الأداء، وقوة الأسلوب، وجزالة العبارة وسلامة المنهج في العقيدة. وعدم

التعصب والجمود على مذهب معين، بل يتجرد للحق حيثما ثبت الدليل.

مؤلفاته:

له حفظه اللّه تعالى مؤلفات كثيرة زادت على الخمسين كتاباً منها:

١- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، وهو أول كتاب للشيخ كتبه عام ١٣٨٠هـ.

٢- مجالس شهر رمضان

٣- المنهج لمريد العمرة والحج.

٤- تسهيل الفرائض.

٥- شرح لمعة الاعتقاد.

٦- شرح العقيدة الواسطية.

٧- أقسام المداينة.

٨- الضياء اللامع من الخطب الجوامع.

٩- المجموع الثمين من فتاوي ابن عثيمين.

١٠- أصول التفسير.

١١- إزالة الستار عن الجواب المختار.

وغيرها من الكتب، إضافةً إلى شروحاته للعديد من الكتب المهمّة والتي تمّ تسجيلها على أشرطة التسجيل[١].

---

(١) لمعرفة مؤلفات الشيخ والكتب التي شرحها ومزيداً عن ترجمته، راجع المجلد الثاني من مجلة الحكمة.

(١) بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

(٢) وبه نستعين

---

(١) البسملة: تكلم الناس عليها كثيراً، ونتكلم عنها بكلمات موجزة: الجارّ والمجرور فيها لا بد أن يكون متعلقاً بشيء محذوف، لأن كل جار ومجرور أو ظرف فإنه لا بد أن يكون له شيء يتعلق به من الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو غير ذلك، فالجارّ والمجرور في البسملة متعلق بمحذوف، والأولى أن يقدر هذا المحذوف بفعل متأخر مناسب إذا سمى الإنسان على الوضوء مثلاً فإنه يقدر بسم اللّه أتوضأ، وإذا سمى على الأكل قال بسم اللّه آكل، وإذا سمى عند الدخول فيقدر بسم اللّه أدخل، وهلم جرا.

وأمّا لفظ الجلالة «اللّه» فهو علم على ذات اللّه عز وجل، وهو أعلم الأعلام على مدلولها، ولهذا قال العلماء أعرف المعارف لفظ «اللّه»، لأنه لا يدل على أحد سوى اللّه عز وجل، فهو أعرف حتى من الضمير المعروف مرجعه، ومعناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

والرحمن: اسم من أسماء اللّه يعني به ذو الرحمة الواسعة لجميع الخلق.

والرحيم: اسم من أسماء اللّه يعني به الموصل للرحمة إلى ما شاء من عباده.

(٢) وبه نستعين: الاستعانة طلب العون، أي نطلب العون من اللّه عز وجل وحده، ولهذا قدم المعمول وهو الجار والمجرور، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، كما نص عليه علماء البلاغة.

الفصل الأول

بيان أنّ مهمةَ الرسل الأولى تحقيق توحيد العبادة

(٣) اعلَم رَحِمك اللّه أنّ التَّوحيدَ هُو إفرادُ اللّه بِالعِبادة.

(٤) وَهو دينُ الرّسلِ الذي أرسلهُم اللّه بهِ إلى عِباده. فأوّلهم نوحٌ[١] عليه

(٣) بين رحمه اللّه أنّ دين اللّه عزّ وجل هو التوحيد وهو في اللغة : مصدر من وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً.

وفي الشرع : هو إفراد اللّه بما يختص به علماً وعقيدة سواء كان مما يتعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله أو عبادته.

ولا يتم التوحيد إلا إذا تضمن شيئين : النفي والإثبات، لأن النفي وحده تعطيل وإخلاء والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، وطرق الإثبات والنفي في القرآن كثيرة.

(٤) وقال إنّ هذا هو دين الرسل الذي بعثوا به، وأولهم نوح عليه السلام بعثه اللّه إلى قومه يدعوهم إلى توحيد اللّه ويحذرهم من عِبادة الأصنام، التي هي وداً وسواعاً ويغوث ويعوق نسرا، وسبب عبادة هذه الأصنام في قوم نوح هو الغلو في الصالحين، لأن هذه الأسماء لرجال كانوا صالحين، فنصبوا لهم تماثيل، فلما طال عليهم الأمد عبدوا هذه التماثيل، فدعاهم نوح عليه السلام إلى التوحيد أي توحيد اللّه عز وجل،

(١) قال ابن مانع: أي أول الرسل الذين بعثهم اللّه لدعاء قومهم إلى توحيد اللّه ونهيهم عن الإشراك به، وأما أول الأنبياء مطلقاً فهو آدم عليه السلّام.

السّلام أرسلهُ اللّه إلى قومِهِ لمَّا غلَوا فِي الصّالِحين ودًّا وسُواعاً ويغُوثَ ويعُوقَ ونَسْراً[(١)].

(٥) وآخرُ الرّسل محمّد صلى اللّه عليه وسلم، وهُو الذي كسرَ صُور هؤلاءِ الصّالحين.

وحذرهم من الشرك باللّه عز وجل، وهكذا جميع الرسل أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَما أرسلنا مِن قبْلِك مِن رسولٍ إلا نُوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء: آية ٥٢]، وقال تعالى : ﴿ولَقد بَعثنا في كلٌ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت﴾ [سورة النحل: آية ٣٦].

(٥) ثم ذكر أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كسر صور الأصنام وذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها وفيها ثلاثة مائة وستين صنماً، وجعل يطعنها عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يقول: «جاءَ الحقُ وزَهَقَ الباطِل إنّ البَاطِل كانَ زهوقاً»[(٢)]، وهذه الأصنام التي يعبدها هؤلاء يدّعون أنّهم يعبدونها لتقربهم إلى اللّه زلفى، فهم مقرون بأنّها دون اللّه، وأنّها لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، ولكنها شفيعة لهم عند اللّه عز وجل ومع هذا لم تنفعهم لأنه لا أحد يشفع عند اللّه إلا بإذنه، ولا يأذن اللّه

---

(١) قال الفقي: روى البخاري في صحيحه (٦٦٧/٨) في تفسير سورة نوح عن ابن عباس: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدهم، أما «ود» فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما «سواع» فكانت لهذيل، وأما «يغوث» فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما «يعوق» فكانت لهمدان، وأما «نَسْر» فكانت لحمير لآل ذي الكلاع : أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩/٧) ومسلم (٣٧٥/١٢).

(٦) أرسله إلى قومٍ يتعبّدون ويحُجّون ويتصدّقون ويذكرون اللّه كثيراً، ولكنّهم يجعلون بعض المخلُوقات وسائِط بينهم وبين اللّه، يقولون: نريد منهم التّقرب[١] إلى اللّه، ونريد شفاعتهم عندَه مِثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين.

سبحانه وتعالى بالشفاعة إلا لمن رضي هو ورضي المشفوع له، فأمّا من لا يرضاه اللّه من الشافع والمشفوع له فإنه لا يأذن له جل وعلا، قال تعالى: ﴿فمَا تنفَعهم شَفاعة الشّافعين﴾ [سورة المدثر: آية ٤٨] وقال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفعُ الشّفاعة إلاّ من أذِن له الرّحمن ورضي له قولاً﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يشفَعون إلاّ لمَن ارتضى﴾.

(٦) هذه جملة تفيد بأنّ النبي صلى اللّه عليه وسلم أرسله اللّه تعالى إلى قومٍ يتعبدون لكنها عبادة باطلة، ما أنزل اللّه بها من سلطان، ويتصدقون ويفعلون كثيرًا من أمور الخير لكنها لا تنفعهم لأنهم كفّار، ومن شرط التقرب إلى اللّه عز وجل أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً وهؤلاء غير مسلمين وذكر رحمه اللّه ما ذكرناه آنفاً، أن هذه الأصنام التي يعبدونها إنما يعبدونها لتكون شفعاء لهم عند اللّه، فهي وسائط بينهم وبين اللّه عز وجل وليست مقصودة لذاتها.

فما زالوا على هذا الكفر وشرك المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى اللّه عليه وسلم، فهو شرك في الألوهية لأن القرآن يدلّ على أنهم إنما كانوا مشركون في العِبادة فقط، أما في الربوبية: فيؤمنون بأنّ اللّه وحده هو الرب وأنه مجيب دعوة المضطرين،

---

(١) قال ابن مانع: أجمع العلماء على أنّ من جعل بينه وبين اللّه واسطة يدعوه زاعماً أنّه يقربه إلى اللّه -أنه كافر خارج عن ملّة الإسلام كما ذكره في كشاف القناع على متن الامتناع في باب حكم المرتد، وهذا هو الذي عليه عبّاد القبور في هذه الأزمان سواء بسواء.

(٧) فبعَث اللّه محمّداً صلى اللّه عليه وسلم يُجدّد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويُخبرهم أنّ هذا التقرب والاعتقاد محضُ حقّ اللّه لا يَصلُح منه شيءٌ لِغَير اللّه لا لِمَلك مُقرّبٍ، ولا لِنَبيٍّ مُرسلٍ فضلاً عن غيرهما.

(٨) وإلاّ فهؤلاءِ المشركون يشهدونَ أنّ اللّه هو الخالقُ وحدهُ لا شريكَ له وأنّه لا يرزقُ إلاّ هو، ولا يُحيي إلاّ هو، ولا يُميت إلاّ هو، ولا يُدبّر الأمرَ إلاّ هو، وأنّ جميع السمواتِ ومن فيهنّ والأرضينَ السّبعُ ومن فيها كلّهم عبيدُه وتحتَ

وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر اللّه عنهم من إقرارهم بربوبية اللّه عز وجل وحده، ولكنهم كانوا مشركين بالعِبادة يعبدون غير اللّه معه وهذا شرك مخرج من الملة، لأن التوحيد هو عبارة حسب دلالة اللفظ عن جعل الشيء واحداً، واللّه تبارك وتعالى له حقوق يجب أن يفرد بها وهذه الحقوق تنقسم إلى ثلاثة أقسام:-

١- حقوق ملك ٢- حقوق عبادة ٣- حقوق أسماء وصفات.

فهم إذاً يتخذون الأصنام وسائط تشفع لهم عند اللّه عز وجل.

(٧) حتى بعث اللّه محمّد صلى اللّه عليه وسلم فبين أنّ ذلك لا ينفعهم، بعثه بالتوحيد الخالص، بالحق الذي لا يصلح إلاّ للّه وحده فإنّ العِبادة لا تصح ولا تصلح إلاّ للّه وحده عز وجل.

(٨) يقول رحمه اللّه أنّ هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقرون بأنّ اللّه وحده هو الخالق، وأنّه هو الذي خلق السموات والأرض وأنّه هو الذي خلقهم، وأنّه هو المدبر للأمور، كما ذكر اللّه عنهم في آيات عديدة من

تصرّفه وقهرِه.

القرآن الكريم، قال اللّه تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَن خلَق السَموات والأرض ليقُلونّ خلقَهن العزيزُ العليم﴾ ﴿ولئِن سألتهم من خلقهم ليقُولنّ اللّه﴾ [سورة الزخرف: آية٩، ٨٧].

والآيات في هذا كثيرة لكن هذا لا ينفعهم لأنّ هذا إقرار بالربوبية(١) فقط ولا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية(٢) وعبادة الله وحده.

واعلم أنّ الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية وأنّ الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية:

أمّا الأول: فهو دليل ملزم، أي أنّ الإقرار دليل ملزم بمن أقرّ به أن يقر بالألوهية، لأنّه إذا كان اللّه وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كلّ شئ وجب أن تكون العِبادة له وحده لا لغيره.

والثاني: متضمن الأول يعني توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لإنه لا يُتَألّه إلاّ للرب عز وجل الخالق الذي يعتقد أنّه هو الخالق وحده وهو المدبر لجميع الأمور سبحانه.

---

(١) تعريف الربوبية: هو إفراد اللّه بالخلق والملك والتدبير.

(٢) تعريف الألوهية: هو توحيد اللّه بالعبادة وذلك بألاّ يعبد غير اللّه عز وجل، وليعلم أنّ هذا التقسيم للتوحيد إلي توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات دليله هو التتبع والاستقراء، الذين قام به العلماء رحمهم اللّه عندما حصلت أنواع الشرك وظهرت (انتهى من شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وشرح كتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري للشيخ ابن عثيمين حفظه اللّه).

الفصل الثاني

بيان الأدلة على أنّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى اللّه عليه وسلم مقرّون بتوحيد الربوبية ولم يخرجهم ذلك من الشرك في العبادة

(٩) فَإذَا أَردتَ الدَّلِيلَ عَلَى أنّ هَؤُلاء الّذينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَشْهَدُونَ بهذَا فَاقرَأْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يرزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأبصَارَ وَمَنْ يُخرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّه فَقُلْ أفَلاَ تَتَّقُون﴾ [سورة يونس: آية ٣١].

---

(٩) ذكر المؤلف دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية ولكنه أتى بها على سبيل الاستفهام والجواب، ليكون هذا أمكن وأتم في الاستدلال فقال إن أردت الدليل فاقرأ قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يرزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأبصَارَ وَمَنْ يُخرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّه فَقُلْ أفَلاَ تَتَّقُون﴾ [سورة يونس: آية ٣١].

كل هذا يقرون به، فالخلق والتدبير يقرون بأنه للّه وحده قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ أفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ يعني إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون اللّه عز وجل الذي أقررتم له بتمام الملك، وتمام التدبير وأنه الخالق وحده، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي أنكم إذا أقررتم لَزِامَكُم أن تتقوا اللّه هذا وتعبدوه وحده لا شريك له سبحانه.

(١٠) وَقَوْلَهُ: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للَّه قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ للَّه قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للَّه قُلْ فَأَنَّى تُسحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤-٨٩] وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

(١١) فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقَرُّونَ بِهَذَا(١) وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي

---

(١٠) هذه الآيات أيضاً مما يدل على أن هؤلاء كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لقول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للَّه﴾ فهنا يقرون بأن الأرض ومن فيها للَّه عز وجل وحده لا شريك له، وقوله: ﴿قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ للَّه قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للَّه قُلْ فَأَنَّى تُسحَرُونَ﴾ فهنا تقرير بأنهم يقرون بأن اللَّه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي بيده ملكوت كل شئ، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، وكل هذا ملزم لهم بأن يعبدوا اللَّه وحده ولا شريكَ له.

(١١) يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه اللَّه تعالى:

فإذا تحققت أن هذا هو الذي أقر به المشركون، يعني به توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن اللَّه وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأن هذا الذي أقروا به

---

(١) توحيد الربوبية.

دَعَاهُمّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهُ صلّى الله عليه وسلم، وَعَرَفْتَ أَنّ التَّوحيدِ الّذِي جَحَدُوهُ هوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَهِ الّذِي يُسَمِّيه الْمُشْرِكُون فِي زَمَانِنَا (الاعْتِقَادَ) كمَا كَانُوا يَدْعُون اللهَ سُبحَانَهُ لَيْلاً ونَهَاراً.

(١٢) ثمَّ منهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائِكَةَ لأجْلِ صلاحِهِمْ وَقُرْبهِمْ مِنَ اللهِ ليشفعُوا لهُ، أوْ يَدْعُو رَجلاً صالحاً مِثْلَ اللاّتِ: أوْ نَبِيًا مِثْلَ عِيسَى.

لم يكفِهِمْ ولم يعصم دماءهم وأموالهم، وعرفت أن الذي أنكروه هو توحيد العبادة الذي يسميه كما قال الشيخ رحمه الله مشركوا زماننا العقيدة، يعني تبين لك أن هذا الذي أقروا به لا يكفي في التوحيد بل ولا يكفي في الإسلام كله، فإن من لم يقر بتوحيد العبادة فإنه ليس بمسلم، حتى ولو أقرّ بتوحيد الربوبية، ولهذا قاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما صح عنه المشركون مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية تماماً.

(١٢) ثم منهم يعني من هؤلاء الذين يقرون بتوحيد الربوبية، من يدعو الملائكة لقربهم من الله عز وجل، ويزعمون أنه من قرب من الله سبحانه فهو مستحق للعبادة، وهذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحده لا يُشرك فيها أحد، ومنهم من يعبد المسيح عيسى عليه السلام لكونه آية من آيات الله، ومنهم من يعبد الأولياء لقربهم من الله سبحانه وتعالى، وكل هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم التي ضلوا بها عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم له يوم القيامة وزناً﴾ [سورة الكهف: آية ١٠٣-١٠٤].

(١٣) وَعَرفتَ أنّ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، قَاتَلَهم علَى هَذا الشرْكِ(١) ودَعاهُم إلى إخْلاصِ العِبَادَةِ كمَا قال تعالَى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّه أحَداً﴾ [سورة الجن: آية ١٨]. وقالَ: ﴿لَه دَعْوَةُ الْحَقّ والّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: آية ١٤].

---

(١٣) «وعرفت» هذه معطوفة على قوله: «فإذا تَحقَقت» يعني وعرفت أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قاتل هؤلاء المشركين الذين لم يقروا بتوحيد العبادة، بل استحل دماءهم وأموالهم عليه الصلاة والسلام (٢) وإن كانوا يقرون بأن اللَّه تعالى وحده هو الخالق لأنهم لم يعبدوه ولم يخلصوا له العبادة، والعبادة الحق للَّه وحده وهذه الأصنام التي يدعونها من دون اللَّه لا تستجيب لهم بشيء كما قال تعالى: ﴿وَمنْ أضلُّ ممَّن يَدعوا منْ دُونِ اللّهِ مَن لا يَستَجيبُ لَه إلى يَومِ القِيامَةِ وَهُم عَن دُعائِهم غَافِلون وإذا حُشِرَ النَّاسُ كَانوا لَهُم أعداءً وَكانوا بِعِبادَتِهم كافِرين﴾ [سورة الأحقاف: آية ٥] ﴿له دعوة الحق والذي يدعون من دونهِ لا يستجيبون لهم بشئٍ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ [سورة الرعد: آية ١٤، ١٥].

---

(١) قال ابن مانع: الذي هو دعوة غير اللَّه مع اللَّه، قال تعالى: ﴿فلا تدعوا مع اللَّه أحداً﴾ فدلت الآية الكريمة على أن دعاء الأموات ونداءهم والاستغاثة بهم من الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة منه.

(٢) يشير الشيخ إلى حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أخرجه البخاري في «الإيمان» (١/١٧) ومسلم في الإيمان (١/٥٣) وغيرهما أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبد اللَّه ورسوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللَّه» هذا لفظ البخاري، وعند مسلم «إلا بحقها» وقد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين.

(١٤) وَتَحققْتَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَاتَلَهُم ليكُونَ الدُّعَاءُ كلُّهُ للّه، والنَّذرُ كُلُّه للّه، والذبحُ كُلُّه للّه، والاستغاثة كلهَا بِاللّه، وَجميعُ العِبَادات كُلّها للّه.

وَعَرَفْتَ أنّ إقرارهُمْ بتوْحيد الرُّبوبيَّة لمْ يُدْخلْهُمْ في الإسلاَم، وأنّ قصدَهُمُ المَلاَئكَةَ والأنبياء، والأولياء، يريدونَ شَفاعَتَهُمْ، والتَّقرُّبَ إلى اللّه بذلكَ هوَ الذي أحَلّ دماءهمْ وأموالهُمْ، عَرفتَ حينئذٍ التوحيد الذي دَعَتْ إليهِ الرسُلُ، وأبى عَنِ الإقرارِ به المشركونَ.

---

(١٤) هذا كله تعقيباً لما سبق من قوله رحمه اللّه: أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قاتل هؤلاء المشركين لإشراكهم في توحيد العبادة، وإن كانوا مقربين ومخلصين للّه تعالى في توحيد الربوبية، فإن ذلك لم ينفعهم ولم يعصم دماءهم وأموالهم.

ذكر المؤلف رحمه اللّه تعالى بما قرره من أن التوحيد الذي جاءت به الرسل من التوحيد هو توحيد الألوهية، لأن هؤلاء المشركين الذي بعث فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كانوا يقرونَ بتوحيد الربوبية، ومع هذا استباح النبي صلى اللّه عليه وسلم دماءهم وأموالهم على أنهم يعبدون الملائكة وغيرهم مما يعبدونهم من الأولياء الصالحين يريدون بذلك أن يقربوهم إلى اللّه زلفى، كما قال تعالى: ﴿والَّذينَ اتَّخذُوا مِن دُونهِ أوْلياءَ مَا نَعبُدُهم إلاّ لِيُقَرِّبونا إلى اللّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر: آية ٣].

فَهم مقرّون بأنّ اللّه عزّ وجلّ هو المقصُود، ولكنّهم يقصدون هؤلاء الملائكةِ وغيرهم ممن يعبدون ليقربوهم إلى اللّه، ومع ذلك لم يدخلهم في التوحيد.

الفصل الثالث

بيان أنّ توحيد العبادة هو معنى لا إله إلاّ اللّه وأنّ الكفار في زمنه صلى اللّه عليه وسلم كانوا أعرف بمعناه من بعض من يدّعي الإسلام

(١٥) وهَذا التَّوحيدُ هُوَمَعْنَى قولِكَ: لاَ إِلهَ إلاّ اللَّه، فَإنّ الإِلهَ عندهم هو الذي يُقْصَد لأجل هذه الأمورِ[١]، سواءٌ كان مَلكاً، أو نَبِيًّا، أو وليًا، أو شجرةً، أو قبراً أو جنيًا.

(١٦) لَمْ يريدوا أنّ الإِلهَ هُوَ الخالقُ الرازق المدبِّرُ، فإنَّهُمْ يعلمون أنّ ذلك

---

(١٥) هذا التوحيد هو معنى قول لا إله إلا اللّه، لأن معنى لا إله إلا اللّه: لا معبود حق إلا اللّه عز وجل، وهم يعلمون أنه معنى هذه الكلمة، أي لا معبود حق إلا اللّه وليس معناه لا خالق إلا اللّه، لا قادر على الاختراع إلا اللّه كما يقوله كثير من المتكلمين فإن هذا المعنى لا ينكره المشركون ولا يردونه، وإنما يردون معنى لا إله إلا اللّه أي لا معبود حق إلا اللّه، كما قال تعالى عنهم في سورة ص: ﴿أجَعَلَ الالهةَ إلهاً واحِداً إنَّ هَذا لشَيءٌ عُجَابٌ وانطَلَقَ المَلأُ أَنِ امشُوا واصبِروا على آلِهتِكم إنَّ هَذا لشَيءٌ يُرَادُ مَا سَمِعنا بِهَذا في المِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هَذَا إلاّ اختِلاق﴾ [آية ٥-٧].

(١٦) يريد رحمه اللّه بيان أن المشركين لا يريدون بقول لا إله إلا اللّه أي لا

---

(١) قال ابن مانع: أي طلب الشفاعة منهم، والتوجه إلى اللّه بدعائهم من دون اللّه، ومع اللّه.

لله وحده كما قدمتُ لكَ، وإنَّما يعنون بالإله ما يعْني المشركون في زمننا بلفظ السيِّد[1]. فأتاهمُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله).

(١٧) والمرادُ منْ هذه الكلمة معناها لا مجردُ لفظهَا. الكفارُ الجهَّال يعْلمونَ أنّ مراد النبيِّ صلى الله عليه وسلم بهذه الكملة هو إفراد الله تعالى بالتعلُّق بِه[2] والكفر بما يعبد منْ دونِ الله والبراءةُ منهُ، فإنَّهُ لمَّا قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أجعل الالِهةَ إلهاً واحداً إنّ هذا لشيءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص: آية ٥].

مدبر ولا خالق إلا الله، لأنهم يعرفون أن ذلك حق وإنما ينكرون معناها على أنه لا معبود حق إلا الله، وهذا الذي بدأ به المؤلف وأعاد، إنما قاله للتوكيد وللرد على هؤلاء الذين يقولون إننا لا نعبد هؤلاء الملائكة أو غيرهم إلا من أجل أن يقربونا إلى الله، ولسنا نعتقد أنهم يخلقون أو يرزقون.

(١٧) هذه الجملة كالتي قبلها، يبين فيها رحمه الله أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إله الله وأن المشركين قد فهموا هذا منها، وعلموا أن المراد بها لا معبود بحق إلا الله، ولهذا أنكروه مع أنهم لا ينكرون أن الله وحده هو الخالق الرازق.

---

(١) قال ابن مانع: مراده بالسيد ما يعتقد الجهال في بعض الأشخاص الدجالين والمشعوذين الذين يُلبِّسون على العوام بأنهم أهل كرامات وتصرف في الأمور وأنه ينبغي الالتجاء إليهم ودعاؤهم والتوسل بهم إلى الله!! فالعامة يُسمون هذا الدجال سيداً وهذا معروف معلوم، وهذا مراد الشيخ رحمه الله.

(٢) قال ابن مانع: أي تعلق القلب به سبحانه فلا يرجى أحد سواه ولا يدعى غيره ولا تطلب الحوائج إلا منه ولا يستعان إلا به.

(١٨) فَإذَا عَرَفْتَ أنّ جُهَّالَ الكُفّارِ يعرفونَ ذلكَ، فالعجبُ ممَّنْ يَدَّعِي الإِسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أنّ ذلك[١] هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء منَ المعَاني، والحاذق منهمْ يظنُّ أنّ معناها لا يخلق ولا يرزق إلاّ اللّه[٢] فلا خيرَ في رجلٍ جُهَّالُ الكفّارِ أعلمُ منهُ بمعنَى لا إِلهَ إِلاّ اللّه.

---

(١٨) يريد رحمه اللّه أن يبين أن الناس في وقته لا يعرفون معنى هذه الكلمة حق المعرفة حيث يظنون أن المراد بها توحيد الربوبية، أي لا خالق إلا اللّه ولا رازق إلا اللّه، فيكون هؤلاء أجهل من الجهّال الذين بعث فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فإنهم كانوا يعرفون من معناها مالا يعرفه هؤلاء.

---

(١) قال ابن مانع: أي يظن تفسيرها والمراد منها هو مجرد النطق بها وهذا ظن فاسد، بل المراد منها إفراد اللّه بالتعلق آخر ما بينه المصنف رحمه اللّه من مراد النبي صلى اللّه عليه وسلم بهذه الكلمة.

(٢) قال ابن مانع: وأقول ما أكثر هذا الصنف لا كثّرهم اللّه، ظنوا أن معنى هذه الكملة والمراد منها، هو توحيد الربوبية فلهذا جهلوا توحيد العبادة وصرفوه لغير اللّه فطلبوه من الأموات والغائبين وسألوهم ما لا يقدر عليه إلا اللّه وهذا الشرك الأكبر وإن سموه توسلاً تدليساً وتلبيساً.

الفصل الرابع

معرفة المؤمن أنّ نعمة اللّه عليه بالتوحيد توجب عليه الفرح به، والخوف من سلبه

(١٩) إذا عَرَفْتَ ما ذكرتُ لكَ معرفةَ قلبٍ، وعرفتَ الشركَ باللّه الذي قالَ اللّه فيهِ : ﴿إنّ اللّه لا يغفرُ أنْ يُشركَ بهِ ويغفرُ مَا دونَ ذلكَ لِمن يشاءُ﴾ وعرفتَ

---

(١٩) إذا عرفت ذلك، عرفت معنى لا إله إلاّ اللّه حقاً وهو لا معبود حق إلاّ اللّه عز وجل[١] وعرفت ما عليه كثير من الناس من الجهل بمعناها، سواء كان الجهل جهلاً بسيطاً أو مركباً، فإن ذلك يحدث لك فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: الفرح بفضل اللّه عليك، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنّ اللّه فتح ومنَّ عليك حتى عرفت المعنى الصحيح بهذه الكلمة العظيمة.

والوجه الثاني: أنّك سلمت مما كان عليه الذين ضلوا في معرفة معناها، والفرح بمثل هذا هو مما أمر اللّه به قال تعالى: ﴿قل بِفضل اللّه وبرحمَتهِ فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [سورة يونس: آية ٥٨]

---

(١) وأحسن من تكلم عن كيفية تحقيقها ومعناها هو الحافظ ابن رجب في رسالته (تحقيق كلمة الإخلاص) تحقيق عبداللّه الحازمي. وأحسن من تكلم عن إعرابها وأيضاً ما يتعلق بمعانيها العلامة علي بن سلطان القاري في كتابه (التجريد في إعراب كلمة التوحيد وما يتعلق بمعناها من التمجيد).

دينَ اللّه الذي أرسلَ بهِ الرّسلَ منْ أوّلهم إلى آخرهم الذي لا يقبلُ اللّه مِنْ أحدٍ سِواهُ، وعرفتَ ما أصبحَ غالبُ النّاسِ فيه مِنَ الجَهلِ بهذا أفادكَ فائدتينِ:

الأول : الفرحُ بفضلِ اللّه ورحمتِه، كمَا قالَ تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

(٢٠) [الثانية] : وأفادكَ أيضاً الخوفَ العظيم، فإنّك إذا عرفتَ أنّ الإنسان يكفُر بكلِمةٍ يخرجها من لِسانه، وقد يقولهَا وهو جاهلٌ، فلا يُعذر بالجهل.

(٢١) وقد يقولهَا وهو يظنّ أنّها تُقرّبه إلى اللّه تعالى كما ظنّ المشركون، خُصوصاً إنْ ألهمك اللّه ما قصَّ عنْ قوم موسى مع صلاحهم وعِلمهم، أنهم أتوْهُ

والفرح الذي هو فرح الإنسان بما أنعم اللّه عليه من العِبادة من الأمور المحمودة كما جاء في الحديث «للصائِم فرحتَان، فرحة عند فطرهِ وفرحةٌ عند لقاء ربه».(١)

(٢٠) هذه فائدة ثانية وهي الخوف العظيم من أن تقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء فإنّ الإنسان قد يقول كلمة الكفر وهو جاهل بمعناها جهلاً لا يعذر به، فيكفر بذلك كما جاء في الحديث: «أنّ الرجل يتكلم بالكلمة من سخط اللّه لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار كذا وكذا»(٢) نسأل اللّه السلامة والعافية.

(٢١) حينما حذّر من أمرين إحداهما خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنّه هو إفراد اللّه تعالى بالخلق والرزق والتدبير، يقول -رحمه اللّه تعالى- : الواجب على الإنسان أن يكون على خوف دائماً، ثم يُذَكّر

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٤/١٤١ - الفتح)، ومسلم (٨/٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١/٣١٤ - الفتح)، ومسلم (١٧/١١٧) وغيرهما.

قائلين: «اجعل لنا إلهاً كما لهمْ آلهةٌ» [سورة الأعراف: آية ١٣٨]. فحينئذ يعظُم حرصُك وخوفُك على ما يخلصك من هذا(١) وأمثاله.

بحال قوم موسى عليه السلام الذين قالوا له: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون إنّ هؤلاء متبر ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾ [سورة الأعراف: آية ١٣٩].

فبين لهم أن سؤالهم أن يجعل لهم آلهة كما كان هؤلاء لهم آلهة من الجهل، فهذا يؤدي إلى خوف الإنسان على نفسه من أن يتيه في الضلالات والجهالات حيث يظن أن معنى لا إله إلاّ اللّه أي لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلاّ اللّه عز وجل، وهذا هو الذي قاله شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى وحذر منه، ووقع فيه عامة المتكلمين الذين تكلموا في التوحيد حيث قالوا: أنّ معنى لا إله إلاّ اللّه أي لا مخترع ولا قادر على الاختراع إلاّ اللّه. ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين بل ولا غير المسلمين حتى المشركين الذين بعث فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة أكثر مما يعرفها هؤلاء المتكلمون.

---

(١) قال ابن مانع: أي من الكفر وأسبابه فإن هؤلاء العلماء الصلحاء طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يدعونه مع الله ومن دون اللّه، وهذه حال عبّاد القبور في هذه العصور تقربوا إلى اللّه بدعوة الأموات والذبح لهم والاستغاثة بهم، وهذا كفر يطردهم من رحمة اللّه.

الفصل الخامس

إنّ حكمة الله اقتضت أن يجعل لأنبيائه وأوليائه أعداءً من الإنس والجن

(٢٢) وَاعلم أنهُ سبحانه منْ حِكمته لمْ يبعثْ نبيًا بهذا التوحيدِ إلاّ جَعلَ لهُ أعداءً[1] كما قال تعالى: ﴿وكَذلكَ جعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً شيَاطِينَ الإنْسِ والجنِّ يُوحِي بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غروراً﴾ [سورة الأنعام: اية ١١٢].

---

(٢٢) نبه المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الجملة على فائدة عظيمة حيث بين أن من حكمة الله عز وجل أنه لم يبعث نبياً إلا جعل أعداء من الإنس والجن وذلك لأن وجود العدو يمحص الحق ويبينه، فإنه كلما وجد المعارض قويت حُجّة الاخر، لأنه لو بقي الشيء هكذا مرسلاً لم يتبين كما يتبين إذا وجد معارض يعارضه ويقارعه حتى يضحض الحق الباطل ويتبين. وهذا الذي جعله الله للأنبياء جعله الله سبحانه وتعالى لأتباعهم، وكل أتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء من المعارض ﴿وكَذلكَ جعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً شيَاطِينَ الإنْسِ والجنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

---

(١) قال الفقي: ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، وليعظم أجر الأنبياء وورثتهم بالجهاد، ولكن ما عند أولياء الشيطان إلا ظنون لا تغني من الحق شيئاً، وأوهام وخرافات لا تثبت أمام الحق ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٨] وإنما تروج هذه الظنون عند من غلبهم الشيطان بالجهل، وكبّل عقولهم بأغلال التقليد الأعمى للآباء والشيوخ الذين قال الله عنهم: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [سورة الأعراب: آية ١٧٩].

أما الذين كسّروا عن عقولهم هذه الأغلال وعرفوا نعمة الله عليهم في سمعهم وأبصارهم وعقولهم ونعمة الله عليهم في كتابه ورسوله وقدّروا هذه النعم قدرها، وشكروها حق شكرها، متفكرين في آيات الله فإنهم لا يقبلون في دينهم إلا ما قام عليه الدليل الصادق من قول الله وقول رسوله، فلا تروج عندهم أوهام الدجالين وظنون المفترين على الله الكذب.

(٢٣) وَقدْ يكُونُ لأعداءِ التَّوحيدِ عُلُومٌ وكتبٌ وَحججٌ كما قال تعالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة غافر: آية ٨٣].

زُخْرُفَ الْقَوْلِ غروراً﴾ [سورة الأنعام: آية ١١٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذلكَ جَعَلنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدواً مِنَ المُجرِمينَ وَكَفى بِرَبِّكَ هَادياً ونَصيراً﴾ [سورة الفرقان: آية ٣١] وتأمل قوله تعالى: ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل وعلى ما جاؤا به بأمرين:

١- التشكيك. ٢- العدوان.

أما التشكيك: فقال الله تعالى في مقابلته: ﴿كفى بربك هادياً﴾.

وأما العدوان: قال في مقابلته: ﴿ونصيراً﴾ والله سبحانه وتعالى يهدي الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء.

(٢٣) يعني أن أعداء الرسل الذين يجادلونهم ويكذبونهم قد يكون عندهم علوم كثيرة يُلَبِّسون بها على الناس فيلبسون الحق بالباطل كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْم وحاق بهم مَا كَانوا بِهِ يَستَهزِؤن﴾ [سورة غافر: آية ٨٣].

وهذا الفرح مذموم لأنه فرح بغير ما يرضى الله عز وجل فيكون من الفرح المذموم وأشار المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الجملة إلى أنه ينبغي لنا أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم من أجل أن نرد عليه بسلاحهم وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لما «بعث معاذ إلى اليمن قال له:إنك تأتي قوماً أهل الكتاب» (١) وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاؤا به.

---

(١) الحديث أخرجه «البخاري» (٦٦١/٧) ومسلم رقم (١٩) وغيرهما.

الفصل السادس

وجوب التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء

(٢٤) إذَا عَرفتَ ذلكَ، وَعرَفْتَ أنّ الطّريق إلى اللّه لا بدَّ لهُ منْ أعداءَ قاعدين عَليهِ أهل فصاحةٍ وعلمٍ وحجج، فالواجبُ عليكَ أنْ تتعلّم منْ دين اللّه ما يصيرُ لكَ سلاحاً[1] تقاتل به هؤلاء الشّياطين، الذين قالَ إمامُهُمْ ومقدَّمُهُمْ لربِّك عزَّ وَجَلّ:

---

(٢٤) قال رحمه اللّه تعالى:

إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً يلبسون بها، الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم والاستعداد لهم يكون بأمرين:

أحداهما: ما أشار إليه المؤلف رحمه اللّه بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء وباطلهم.

الثانية: أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه اللّه في كتابه (درء تعارض النقل والعقل) قال: إنه ما من إنسان يأتي بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له، وهذا الأمر كما قال رحمه اللّه فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة

---

(١) ومن المهم أيضاً كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع (١٨٤/٤-١٩٠): معرفة كيفية المناقشة والجدال بالحق للخصم وما يتعلق بذلك، فهو كلام نفيس مفيد في بابه والحمد للّه، وأيضاً لمزيد الفائدة والمعرفة في هذا الباب انظر المنهج في ترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي، والمعرفة في الجدل لإبي إسحاق الشيرازي، كلاهما طبع بتحقيق في دار الغرب الإسلامي.

﴿لأقْعُدَنّ لهُمْ صراطَكَ المستقِيم ثُمَّ لآتِيَنَّهم مِنْ بَيْنِ أيْديهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانهمْ وَعنْ شَمَائِلِهِمْ ولا تَجد أكثرهم شاكرين﴾ [سورة الأعراف: اية ١٦-١٧].

(٢٥) وَلَكنْ إذَا أقْبلتَ علَى اللّه، وأصغَيْتَ إلَى حُجَجهِ وبيناتِهِ، فلا تَخفْ ﴿إِنّ كَيْدَ الشّيْطَانِ كانَ ضَعِيفاً﴾ [سورة النساء: ٧٥].

(٢٦) والعامِّيُّ مِنَ الموحِّدين يَغْلبُ ألفاً مِنْ علماءِ هَؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون﴾ [سورة الصافات: آية ١٧٣].

عليه وليس حجة له فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء المبطلون أن يلاحظ هذين الأمرين:

الأمر الأول: أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به.

الأمر الثاني: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بها على هؤلاء.

(٢٥) هذه الجملة يريد بها الشيخ رحمه اللّه: أن نشجع الحق وأهله وأن لا يخاف الإنسان من حججهم لأنها حجج باطلة كما قال، وهي من كيد الشيطان، وقد قال اللّه تعالى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وفي ذلك يقول القائل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقاً وكــلٌ كاســر مكســور

(٢٦) العامي من الموحدين يعني من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (الألوهية والربوبية والأسماء والصفات) يغلب ألفاً من علماء المشركين لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون اللّه عز وجل توحيداً ناقصاً حيث أنهم لا يوحدونه إلا بتوحيد الربوبية فقط، وهذا توحيد ناقص فليس هو توحيد في الحقيقة بدليل أن النبي

(٢٧) فجند اللّه همُ الغَالبُونَ بالحُجَّةِ واللسَانِ(١)، كما هم الغالبونَ بالسَّيْفِ والسِّنَانِ.

صلى اللّه عليه وسلم قاتل المشركين الذين يوحدون اللّه هذا التوحيد، ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم به دماءهم وأموالهم، والعامي من الموحيدن يقر بأنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فيكون خيراً من هؤلاء قال اللّه تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ (٢) [سورة الصافات: ١٧٣] أي يغلبون.

وحزب الناس بالنسبة لمعاملة الخالق عز وجل ينقسمون إلى قسمين:

إحداهما :جند اللّه.

الثـانـي : حزب اللّه.

(٢٧) جند اللّه غالبون بالحجة والبيان كما هم غالبون بالسيف والسنان فأشار المؤلف رحمه اللّه تعالى بهذا إلى جند اللّه عز وجل الذين يجاهدون الناس: بأمرين الحجة والبيان، وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة للمسلمين فهؤلاء

---

(١) قال ابن مانع: والمراد بجند اللّه هنا الذين أدوا ما أوجب اللّه عليهم وعملوا بما وهبهم من العلم النافع والعمل الصالح وأصغوا إلى حجج اللّه وبيناته وأقبلوا على تعلم ذلك بصدق عزيمة وإخلاص نية ودعوا الناس إلى ذلك، فإن نشر العلم النافع والدعوة إليه من الواجبات ولو لم يطلب ذلك من الإنسان كما ذكره المصنف في أول الثلاثة الأصول.

(٢) قال الإمام محي السنة الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره «معالم تنزيل» (٦٤/٧) قوله تعالى: ﴿إنهم لهم المنصورون وإنّ جُنّدنَا لَهُمُ الغالبُونَ﴾ أي: حزب اللّه لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة. أهـ– وذلك بفضل ما عنده من توحيد اللّه عز وجل والحمد للّه رب العالمين.

(٢٨) وَإِنَّمَا الخوفُ على الموحِدِ الذي يسلُكُ الطريقَ وليس معه سلاح[١].

(٢٩) وَقد مَنَّ اللّه تعالى بكتابه الذي جعلهُ ﴿تِبيَاناً لِكُلِّ شيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً

يجاهدون بالحجة والبيان، والثاني: من يجاهد بالسيف والسنان يعني الرمح فهولاء المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفي هذا والذي قبله يقول اللّه عز وجل: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ [سورة الطلاق: آية ٩] وربما يكون الجهاد بالحجة والبيان للكفار المعلنين لكفرهم أيضاً، فإن الكفار الخلص لا يجاهدون بالسيف إلا بعد قيام الحجة عليهم، وجند اللّه هم عباده المؤمنون الذين ينصرون اللّه ورسوله.

(٢٨) الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح لأنه ليس له علم يتسلح به فإنما هذا يفتن في دينه بأن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فحينئذ يهلك، هذا هو الذي يخاف عليه من الموحد، أن يسلك الطريق وليس معه سلاح أو ينزل في ميدان المحاجة وليس معه سلاح، أي سلاح الحجة والبيان وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يكون لديه علم يدافع به الشبهات ويجادل به أعداء اللّه عز وجل.

(٢٩) منَّ اللّه علينا بكتابه العزيز الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [سورة فصلت: آية ٤٢] وجعله سبحانه وتعالى تبياناً: أي مُبيِّناً لكل شئ يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم، ثم إن تبيان القرآن للأشياء

---

(١) قال الفقي: إنما الخوف على المقلد الذي دينه وراثة عن آبائه، أما الذي يقطف ثمار التوحيد من سنن اللّه الكونية وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله فهو الغالب أن شاء اللّه.

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل : اية ٨٩].

ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يبين الشئ بعينه مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿حُرِّمت عَليكُم المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْم الخِنزير﴾ [سورة المائدة : اية ٣] وقوله تعالى: ﴿حُرِّمت عَلَيكُم أمَّهاتُكُم وبَناتُكُم وأخَواتُكُم وعَمَّاتُكُم وخَالاتُكُم وبَنَاتُ الأخِ وبَناتُ الأُختِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وأَحلَّ لكُم مَا وَراءَ ذَالِكُم﴾ [سورة النساء: آية ٢٣-٢٤].

الثاني: أن يكون التبيان بالإشارة والمعنى مثل قوله تعالى: ﴿وأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾ فأشار اللَّه تعالى إلى الحكمة التي هي السنة، فإنه مبين في القرآن.

لكن على سبيل الإشارة وكذلك قوله تعالى: ﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكرِ إنْ كُنتُم لا تَعلَمون﴾ [سورة النحل: آية ٤٣] وأيضاً [سورة الأنبياء: آية ٧].

فهذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به، ولهذا يُذْكَر أن بعض أهل العلم أتاه رجل من النصارى يريد الطعن في القرآن الكريم وكان مطعم فقال له هذا النصراني: أين بيان كيف يصنع هذا الطعام؟ فدعا الرجل صاحب المطعم وقال له: صف لنا كيف تصنع هذا الطعام فوصفه، فقال هكذا جاء في القرآن فتعجب النصراني وقال كيف ذلك؟ فقال إن اللَّه عز وجل يقول: ﴿فسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون﴾[1] فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهل العلم به، وهذا من بيان القرآن بلا شك.

---

(١) ذكر هذه القصة وأشار إليها الشيخ صالح البليهي رحمه اللَّه في كتابه: (عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين) جـ١ طبعة ١٤٠٩هـ.

(٣٠) فلاَ يأتي صَاحبُ باطلٍ بحُجَّةٍ إلاّ وَفي القرآنِ ما ينقُضُهَا ويُبيِّنُ بطْلانَهَا.

(٣١) كَما قَال تعالَى: ﴿وَلاَ يأتُونَكَ بمَثَل إلاّ جئناكَ بالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٣]، قَال بعضُ المفسِّرينَ: هذه الآيَة عَامَّةٌ في كل حُجَّةٍ يأتي

---

(٣٠) لا يأتي مبطل بحجة على باطله إلا وفي القرآن ما يبين هذه الحجة الباطلة، بل إن كل صاحب باطل استدل لباطله بدليل صحيح من الكتاب والسنة فهذا الدليل يكون دليلاً عليه كما ذكر شيخ الإسلام رحمه اللّٰه تعالى في مقدمة كتابه (درء تعارض النقل والعقل): أنه ما من صاحب بدعة وباطل يحتج لباطله بشيء من الكتاب أو من السنة الصحيحة إلا كان ذلك الدليل دليلاً عليه وليس دليلاً له، وهذا حق لا شك فيه.

(٣١) قال المؤلف رحمه اللّٰه مستدلاً على أن الرجل الموحد ستكون له حجة أكثر من حجة الغير موحد مهما بلغ من الفصاحة والبيان كما قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾[١] أي لا يأتونك بمثل يجادلونك له ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً، ولهذا تجد في القرآن كثيراً ما يجيب اللّٰه تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين وعن غيرهم ليبين عزّ وجل للناس الحق، وليكون

---

(١) قال ابن كثير رحمه اللّٰه تعالى (٣/٣٣٠): ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي بحجة وشبهة ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول. أهـ.

بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إلى يَوم القيامَة[1].

الحق بيناً لكل أحد، ولكن هاهنا أمر يجب التفطن له وهو أنه لا ينبغي للإنسان أن يدخل في مجادلة أحد إلاّ بعد أن يعرف حجته ويكون مستعداً لدحرها والجواب عنها، لأنه إذا دخل في غير معرفة صارت العاقبة عليه، إلا أن يشاء الله كما أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح وشجاعة.

---

(١) قال الفقي: قال أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط» (٤٩٧/٦): ولا يأتونك بشبهة في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل ويبطل كلام أهل الزيغ.

الفصل السابع

الردّ على أهل الباطل إجمالاً وتفصيلاً

(٣٢) وأنا أذكرُ لكَ أشياءَ[١] ممَّا ذكرَ اللّه في كتابهِ جواباً لكلام احتجّ بهِ المشركون في زماننا علينَا.

(٣٣) فنقول: جوابُ أهلِ الباطل من طريقين: مُجملٍ، ومفصّلٍ، أمّا المُجملُ

---

(٣٢) ثم ذكر المؤلف رحمه اللّه أنه سيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجوا بها على شيخ الإسلام رحمه اللّه (أي على المُصنِّف نفسه -الشيخ محمد بن عبدالوهاب-) ويكشف هذه الشُبهات لأنّها في الحقيقة ليست حججاً، ولكن ذكرها للتنبيه والحذر منها.

(٣٣) بيّن رحمه اللّه تعالى أنّه سيُجيب على هذه الشبهات بجوابين:

إحداهما: مجمل عام صالح لكل شبه.

والثاني: مفصل، وهكذا ينبغي لأهل العلم في باب المناظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون ويأتي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها قال اللّه تعالى: ﴿كتابٌ أحكِمت آياتُه ثمّ فُصّلت مِن لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ﴾ [سورة هود: آية ١] فذكر في الجواب المجمل رحمه اللّه: أنّ هؤلاء

---

(١) قال ابن مانع: أراد المُصنف رحمه اللّه أن يدين أشياء من حال أعداء اللّه ورسله القاعدين بالطريق الموصلة إلى معرفة دين اللّه ليصدوا الناس عنه.

فهوَ الأمر العظيمُ والفائدةُ الكبيرة لمنْ عقلَها، وذلك قولهُ تعالى: ﴿هو الذي أنزلَ عليكَ الكِتابَ منهُ آياتٌ مُحكماتٌ هُنَّ أمُّ الكِتابِ وأخَرُ مُتشابهاتٌ فأمّا الذينَ في قلوبِهِمْ زيغٌ فيتَّبعونَ ما تشابهَ منهُ ابتغاءَ الفِتنةِ وابتغاءَ تأويلِهِ﴾ [سورة آل عمران: آية ٧].

(٣٤) وقد صحَّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، أنَّهُ قال: «إذا رأيتُم الذينَ يتَّبعون ما تَشابَه مِنْه فأولئِكَ الذينَ سَمَّى اللّه فاحذروهم».(١)

الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيغٌ كما صح ذلك عن النبي صلى اللّه عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿هوَ الذي أنزلَ عليكَ الكِتاب منهُ آياتٌ مُحكمات هنّ أمّ الكتابِ وآخر متشابهات فأمّا الذين في قُلوبهم زيغٌ فيتبعون...﴾ [سورة آل عمران: آية ٧].

ولهذا تجد أهل الزيغ والعياذ باللّه يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على الناس فيقولون مثلاً قال اللّه تعالى كذا وقال في موضع آخر كذا؟ فكيف يكون وهذا مثل ما حصل لنافع بن الأزرق مع ابن عبّاس رضي اللّه عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في الإتقان وربما يكون غيره ذكرها وهي مفيدة لو رجعت إليها لتعرف كيف لبس أهل الباطل الحق.

(٣٤) قال الشيخ رحمه اللّه وقد صح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنّه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فهم أولئك الذين سمى اللّه منهم فاحذروهم»(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٧/٨ – ١٥٩)، ومسلم رقم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي اللّه عنها.

(٢) هذا اللفظ أخرجه البخاري في تفسير آل عمران (١٦٥٥/٤)، ومسلم في كتاب «العلم» (٢٠٥٣/٤) وغيرهما.

(٣٥) مثالُ ذلك: إذا قال لك بعضُ المُشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس: آية ٦٢]، وأنّ الشّفاعة حقٌّ، وأنّ الأنبياءَ لهُم جاهٌ عندَ اللّه، أو ذكر كلاماً للنّبي صلى اللّه عليه وسلم يستدلُّ بهِ على شيءٍ من باطِله، وأنتَ لا تفهم معنى الكلامِ الذي ذكَرهُ، فجاوِبْهُ بقولِك: إنّ اللّه ذكرَ أنّ الذينَ في قُلوبهمْ زيغٌ يَتركونَ المُحكمَ ويتّبعون المتشابهَ.

استدل المؤلف رحمه اللّه بهذا الحديث على أنّ الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على باطله فهؤلاء هم الذين سماهم اللّه ووصفهم بقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الآية، ثم أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم بالحذر منهم فقال احذروهم من أن يضلوكم عن سبيل اللّه باتّباع هذا المتشابه واحذروا طريقهم أيضاً فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقهم والتحذير منهم أيضاً.

(٣٥) ثم ضرب المؤلف لهم مثلاً بأن يقول لك المشرك: أليس اللّه يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أوليس للأولياء جاه عند اللّه سبحانه وتعالى أوليس الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة وما أشبه ذلك من هذه الأشياء؟ فقل: نعم كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل على أنك تشرك بهؤلاء الأولياء أو بهؤلاء الرسل أو لهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند اللّه عز وجل ودعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا مبطل وما أنت إلا من الذين قال اللّه فيهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ ولو أنك رددت هذا المتشابه ويعني بالمتشابه كما قال الإمام أحمد: أنه ما احتاج إلى بيان، أو ما احتمل من التأويل وجوهاً، إلى المحكم وهو في مقابل المتشابه وهو ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والإحكام كما قال شيخ الإسلام: أن الإحكام تارة يكون في التنزيل،

(٣٦) وَمَا ذكرته لك مِنْ أنّ اللّه ذكَر أنّ المشركين يُقرون بالربوبية، وأنّ كفرهم بتعلقهم على المَلائكة وَالأنبياء والأولياء مع قولهمْ: ﴿هَؤُلاء شُفَعَاءُنَا عندَ اللّه﴾ [سورة يونس: آية ١٨] هذا أمْرٌ مُحكَمٌ بيّنٌ لا يَقْدرُ أحَدٌ أنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

(٣٧) وَمَا ذَكَرْتَ لي أيُّها المشركُ مِنَ القرآن أوْ كلام النبي صلى اللّه عليه وسلم لا أعرفُ معناه، ولكن أقطعُ أنّ كـلامَ اللّـه لا يتناقـضُ، وأنّ كلامَ النبي صلى اللّه عليه وسلم لا يخالف كلام اللّه.

فيكون في مقابلة ما يلقيه الشيطان بمعنى أن اللّه فعله في الاشتباه بغيره. وتارة يكون في إبقاء التنزيل وذلك عند من قابله بالنسخ الذي هو رفع ما شرع من الدين.

فإذا ردّه إلى المحكم أي المتشابه كما ذكرنا لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه. وذلك أن المقصود بالأولياء في الآية ما ذكره أهل العلم أنهم الذين ذكرهم اللّه في قوله: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي من اجتمع فيه وصف الإيمان ووصف التقوى، والمتقون للّه عز وجل لا يرضون أن تشرك بهم في عبادة اللّه عز وجل.

(٣٦) ذكر المؤلف رحمه اللّه كيف نرد هذا المتشابه إلى المحكم أن المُشرِكِينَ كانوا مُقِرُّون بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيماناً لا شك فيه عندهم ولكنهم يعبدون الملائكة وغيرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه فهم يأخذون بالمتشابه ويدعون المحكم الصريح والذي يدل على أن اللّه لا شريك له في ألوهيته وفي عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته وملكه.

(٣٧) يريد بقوله لا أعرف معناه أي لا أعرف معناه الذي أنت تدعيه، وإنني أنكره ولا أقر به، لأنني أعلم أن كلام اللّه لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى اللّه عليه وسلم لا يخالف كلام اللّه، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدبَّرون القُرآن وَلَو كَانَ مِنْ عِنْد غَيرِ اللّهِ لَوجَدوا

(٣٨) وهذا جوابٌ جيد سديدٌ ولكن لا يفهمهُ إلاّ منْ وفقه اللّه، فلا تستهون به، فإنّهُ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقّاهَا إلاّ الذينَ صَبَروا، وَمَا يُلَقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيم﴾ [سورة فصلت: آية ٣٥].

(٣٩) وَأمّا الجوابُ المفصّلُ، فإنّ أعداءَ اللّه لهمُ اعتراضاتٌ كثيرةٌ يصدون بها الناس عنهُ، منهَا قَولهمْ: نحنُ لا نشركُ باللّه، بلْ نشهدُ أنّهُ لا يَخلُقُ ولا يرزُقُ وَلا

فيهِ اختلافاًكثيراً﴾ [سورة النساء: آية ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ونَزّلنا عَليكَ الكِتابَ تِبيَاناً لكلِّ شيء﴾ [سورة النحل: آية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿لِتُبيِّنَ للنَّاس مَا نُزِّل إليهِم ولَعَلَّهم يَتَفكَّرون﴾ [سورة النحل: آية ٤٤]، وكلام الرسول صلى اللّه عليه وسلم لا يخالف كلام اللّه، وكلام اللّه لا ينقض بعضه بعضا، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه لا شريك له، وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ...»[(١)] إلى آخرالحديث، وهذا كله يؤيد بعضه بعضاَ، ويدل على أن اللّه تعالى ليس له شريك في الألوهية كما أنه ليس له شريك في الربوبية.

(٣٨) قول الشيخ رحمه اللّه: وهذا جواب جيد سديد، يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام اللّه تعالى لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لا يخالف كلام اللّه، وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم، فهذا أجاب بجواب سديد أي سادّ لمحله لا يمكن لأحد أن يناقضه، أو يردّ عليه ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الكتاب والسنة، وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه.

(٣٩) قال رحمه اللّه تعالى: أما الجواب المفصل لأن الجواب الأول كان مجملاً

---

(١) هذا اللفظ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان (١٢/١) ومسلم في كتاب الإيمان (٤٥/١) من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما.

ينفعُ وَلا يضُرُّ إلاّ اللّه وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأنّ محمّداً صلى اللّه عليه وسلم لا يملْكُ لنفسهِ نفعاً ولا ضرًا، فضلاً عنْ عبْد القادر أوْ غيرهِ.

(٤٠) وَلكنْ أنَا مذنبٌ والصالحونَ لهمْ جاهٌ عندَ اللّه، وأطلبُ منَ اللَه بهمْ[١]، فجاوبه بما تقدم، وهو أنّ الذين قاتلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، مقرونَ بما ذكرتَ، ومقرُّون أنّ أوْثانهمْ لا تدبرُ شيئاً، وإنّما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكرَ اللّه في كتابهِ[٢] ووضّحَهُ.

يرد به الإنسان على كل شبهة، ثم هناك جواب مفصل أي يميز بعضه عن بعض بحيث ندفع به شبهة كل واحد بعينها، فإذا قال لك المشرك أنا أؤمن بأن اللّه تعالى هو الرب الخالق الرازق النافع الضار، وأن محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ممن دونه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وهذا هو التوحيد فهذه شبهة يلبس بها ولكنها شبهة داحضة لا تفيده شيئاً.

(٤٠) وإذا قالوا هذا الذي سبق، وقالوا بأن اللّه وحده الخالق الرازق النافع الضار، وأن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً أو ضراً فضلاً عن غيرهم، ولكنني أتوسل بهم إلى اللّه وأتقرب بهم إليه، فأجبه بأن ما ذكرت هو ما كان عليه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى اللّه عليه وسلم واستباح دمائهم ونسائم وأموالهم، ولم يغنهم هذا التوحيد شيئاً.

---

(١) قال ابن مانع: أي بواسطتهم بأن يجعلهم وسائط بينه وبين اللّه القريب المجيب وهذا هو الذي عليه عباد الأموات وهو كفر بإجماع العلماء.

(٢) قال ابن مانع: أي من الآيات الدالة على كفر من دعا غير اللّه من الأموات والأحجار والأشجار وتقرب إليهم بالذبائح والنذر.

(٤١) فإنّ قالَ: هؤلاء الايات نزلتْ فيمنْ يعبدُ الأصنام كيف تجعْلونَ الصالحن أصناماً؟ فجاوبهُ بما تقدمَ.

(٤٢) فإنّهُ إذا أقرّ أنّ الكفار يشْهدونَ الربوبيّة كلّها للّه، وأنهمْ ما أرادوا ممّنْ قصدوا إلاّ الشّفاعة، ولكنْ أراد أنْ يفرقَ بينَ فعْلهمْ وفعله بما ذكره فاذكر له أنّ

يقرأ عليهم ما ذكر اللّه تعالى في كتابه ووضحه، يريد بذلك أن تقرأ عليهم ما ذكر اللّه في كتابه من توحيد الألوهية فإنه جل وعلا أبدا فيه وأعاد وكرر من تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم فقال تعالى: ﴿ومَا أرسَلنا مِن قَبلِك مِنْ رَسولٍ إلاّ نُوحِي إليهِ أنَّه لا إله إلاّ أنا فَاعبُدون﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ومَا خَلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدون﴾ [سورة الذريات : آية٥٦] وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أنَّه لا إلهَ إلاّ هُوَ والملائِكةُ وأُولوا العِلمِ قَائِماً بالقِسطِ لا إله إلاّ هُوَ العزيزُ الحكيمُ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٨] وقوله تعالى: ﴿وإلهُكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلاّ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ﴾ [سورة البقرة: آية ١٦٣] وقوله تعالى: ﴿فَإيَّايَ فاعبدون﴾ [سورة العنكبوت: آية ٥٦] إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد اللّه عز وجل في عبادته، وأن لا يعبد أحد سواه، فإذا اقتنع بذلك فهذا هو المطلوب وإن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليه قول اللّه تعالى: ﴿وَجَحَدوا بِها واستَيْقَنَتها أنفُسُهم ظُلماً وعُلُواً فَانْظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبةُ المُفسِدين﴾ [سورة النمل: آية ١٤].

(٤١) فإن قالوا يعني أهل الشرك هذه الآيات إنما نزلت في المشركين الذين يعبون الأصنام، وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام فجوابه بما تقدم أي بأن كل من عبد غير اللّه فإن معبوده يكون وثناً يعبده من دون اللّه عز وجل.

(٤٢) يقول فإنه أي هذا القائل يعلم أن المشركين قد أقروا بالربوبية وأن اللّه

الكُفار منهم من يدعو الصالحين والأصنامَ ومنهمْ منْ يدعو الأوْلياءَ الّذينَ قالَ اللّه فيهمْ: ﴿أولَئكَ الّذينَ يَدعُون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهمْ أقربُ﴾، ويدعونَ عيسى بن مريمَ وأمّهُ، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ما المسيحُ بنُ مَريمَ إلاّ رَسُولٌ قدْ خلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأكُلانِ الطّعَامَ انظرْ كيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الايَاتِ ثُم انظُرْ أنّى يُؤْفكُون﴾.

(٤٣) واذكرْ قولهُ تعالى: ﴿وَيَومَ يَحشرُهُم جَميعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلائِكَةِ أهَؤُلاءِ إيَّاكُم كَانُوا يَعبُدون قَالُوا سُبْحَانَكَ أنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهم بَلْ كَانُوا يَعبُدونَ الجِنَّ أكثرُهُم بِهِم مُؤمِنُون﴾ [سورة سبأ: آية ٤٠-٤١]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِيسى بنَ مَرْيمَ ءَأنتَ قُلْتَ للنّاس اتّخذوني وأمّي إلهَيْن مِنْ دونِ اللّه قالَ سُبْحانَكَ مَا يكُونُ لي

سبحانه وتعالى هو رب كل شيء وخالقه ومالكه، ولكنهم عبدوا هذه الأصنام من أجل أن تقربهم إلى اللّه زلفى، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الاعتقاد كما سبق.

ويعبدون المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ما المسيحُ بنُ مَريمَ إلاّ رَسُولٌ قدْ خلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأكُلانِ الطّعَامَ ...﴾ [سورة المائدة: آية ٧٥].

فهم مشركون مع أنهم يعبدون المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه.

(٤٣) واذكر له هذه الآية حيث قال تعالى: ﴿وَيَومَ يَحشرُهُم جَميعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلائِكَةِ أهَؤُلاءِ إيَّاكُم كَانُوا يَعبُدون قَالُوا سُبْحَانَكَ أنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهم بَلْ كَانُوا يَعبُدونَ الجِنَّ أكثرُهُم بِهِم مُؤمِنُون﴾ [سورة سبأ: آية ٤٠-٤١] يعني هؤلاء الملائكة عباد اللّه عز وجل مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون، وقد وصف اللّه

أنْ أقُولَ مَا ليسَ لِي بحَقٍّ إن كُنتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمتَهُ تعلَمُ مَا في نُفسِي ولا أعلمُ مَا في نَفسِكَ إنَّكَ أنتَ علاَّمُ الغُيوبِ﴾ [سورة المائدة: آية ١١٦].

(٤٤) فَقُلْ لهُ: عَرَفتَ أنّ اللّه كفَّرَ مَنْ قَصد الأصنام، وكَفَّر أيضاً منْ قصد الصَّالحين وقاتلهمْ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم.

(٤٥) فإنْ قال: الكفَّارُ يريدونَ منْهم وأنا أشهدُ أنّ اللَّه هوَ النافعُ الضَّارُّ المدبرُ لا أريد إلاّ منه والصَّالحونَ لَيْس لهمْ منَ الأمْر شيءٌ ولكنْ أقصدهمْ أرجو من اللَّه شفاعتهم. فالجوابُ أنّ هذا قول الكفّار سواءً بسواءٍ فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿والذينَ اتَّخذوا مِن دونِهِ أولياءَ مَا نَعْبدُهم إلاّ ليقرِّبونَا إلى اللَّه زُلفى﴾[1] [سورة

تعالى الملائكة الذين هم على النار غلاظ شداد لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(٤٤) يعني فاقرأ هذا الحكم عليه إذا بينته له بأن اللّه سبحانه وتعالى كفر من عبد الصالحين ومن عبد الأصنام، وكذلك النبي صلى اللّه عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ولم ينفعهم أن كان المعبودون من أولياء اللّه وأنبيائه.

(٤٥) وإن قال هذا المشرك: أنا لا أعبد هؤلاء الأولياء –الذين أعبدهم أعتقد منهم أنهم ينفعون ويضرون– ولكن أتقرب بهم إلى اللّه عز وجل ليكونوا شفعاء فقل له: وكذلك المشركون الذين فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، هم لا

---

(١) معنى زلفى في قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى﴾ أي: قربى وهو أسمٌ أقيم في مقام المصدر، كأنه قال إلا ليقربونا إلى اللّه تقريباً ويشفعوا لنا عند اللّه عز وجل.

الزمر: آية ٣]، وقوله تعالى: ﴿ويقولون هَؤلاءِ شُفعَاؤُنَا عِندَ اللَّه﴾ [سورة يونس: آية ١٨].

يعبدون هؤلاء الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى عنهم: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فتكون حاله كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء.

الفصل الثامن

الردّ على من زعم أن الدعاء ليس من العبادة

(٤٦) وَاعْلَمْ أنّ هذه الشُّبَهَ الثّلاثَ هيَ أكبرُ ما عندهمْ، فإذا عرفْتَ أنّ اللّه وضعَهَا في كتابه، وفهمتها فهْماً جيداً فما بعدها أيسرُ منْها.

(٤٧) فإنْ قالَ: أنا لا أعْبدُ إلاّ اللّه وهذا الالتجاءُ إلى الصّالحين، ودعاؤهمْ ليس بعبادةٍ، فقلْ لهُ: أنْت تقرُّ أنّ اللّه فرضَ عليكَ إخلاص[1] العبادةِ[2] وهو حقهُ

---

(٤٦) قوله رحمه اللّه تعالى هذه الشبه الثلاث –التي يشبهون بها– هي أكبر ما عندهم وهي:

الشبهة الأولى: قولهم أننا لا نعبد الاصنام إنما نعبد الأولياء.

الشبهة الثانية: قولهم إننا ما قصدناهم وإنما قصدنا اللّه عز وجل في العبادة.

الشبهة الثالثة: قولهم أننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا، فإن النفع والضرر بيد اللّه عز وجل، ولكن ليقربونا إلى اللّه زلفى، فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك، يعني فنحن لا نشرك باللّه سبحانه وتعالى: فإن إزالة ما بعدها من الشبه أهون وأيسر لأن هذه من أقوى الشبه التي يلبسون بها.

(٤٧) إذا قال هذا الرجل أنا لست أعبدهم كما أعبد اللّه عز وجل يعني ولكن

---

(١) إخلاص العبادة المقصود به تحقيق التوحيد الخالص بالاعتقاد الصحيح والعمل بمقتضى ذلك، لا مجرد نطقها باللسان فحسب.

(٢) العبادة في اللغة: الذل والخضوع، وقال الأزهر في «تهذيب اللغة» (٢/٢٣٤): معنى العبادة في=

عليكَ؟ فإذا قالَ: نعم، فقلْ لهُ: بيِّنْ لي هذا الذي فرض عليكَ وهوَ إخلاصُ العبادة للّه وحدهُ وهو حقه عليك فإنَّهُ لا يعرفُ (١) العبادة ولا أنواعها.

(٤٨) فبينهَا لهُ بقولكَ: قال اللّه تعالى: ﴿ادعُوا رَبَّكُمّ تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٥]، فإذا أعلمته بهذا فقل له: هلّ عَلِمتَ هذا عبادةً للّه؟ فلا بدَّ أن يقول: نَعَمْ والدعاءُ مخُّ العبادة (٢).

يشرك بهم مع اللّه فقل له إن اللّه فرض عليك إخلاص العبادة له وحده الذي هو حقه لا يشاركه فيها إحد ثم اسئله ما هي العبادة؟ التي تقول إنني لست أعبدهم فإنه سوف ينقطع لأنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها عنده شُبَهٌ لَبَّسَ بها الشيطان عليه.

(٤٨) يعني إذا بينت له أنه لا بد من إخلاص العبادة للّه وحده فقل له: إن اللّه يقول: ﴿ادعوا ربكم تَضَرُّعاً وخُفيةً إنَّه لا يُحِبُّ المُعتَدين﴾، والدعاء عبادة وإذا كان عبادة فإن دعاء غير اللّه يكون إشراك باللّه عز وجل، وعلى هذا فالذي يستحق أن

=اللغة الطاعة مع الخضوع، يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء، وأصل العبودية قال الجوهري: الخضوع والذلة والتعبيد والتذليل (الصحاح ٥٠٣/٢) وفي الشرع قال شيخ الإسلام: إسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، انظر الفقرة الأولى من العبودية له يرحمه اللّه.

(١) قال ابن مانع: لأنه يزعم أن الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة وهذا عين الجهل بالعبادة وهو الذي عليه عبادة الأموات سموا هذه العبادة توسلاً وصرفوها لغير اللّه.

(٢) يشير المصنف رحمه اللّه إلى حديث أنس بن مالك، أخرجه الترمذي (٤٢٥/٥ رقم/٣٣٧١) وفي التحفة (٣١٠/٩-٣١١) وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة وضعفه ابن القطان وغيره فبذلك تعلم أن الحديث ضعيف وبه قال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» برقم (٣٠٠٣) والأرناووط في «مجموعة التوحيد» (ص٦٧٦) وبشير محمد عيون في «الأذكار».

والصحيح حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنهما بلفظ «الدعاء هو العبادة» أخرجه أحمد=

(٤٩) فقل له: إذا أقررت أنّه عبادةٌ لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثمَّ دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيرهُ هلْ أشركت في عبادة اللّه غيره؟ فلا بدّ أن يقول نعم، فقل له: إذا عملتَ بقول اللّه إذْ قال اللّه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [سورة الكوثر: آية ٢]، وأطعت اللّه ونحرت له هلْ هذا عبادةٌ، فلا بدّ أنّ يقولَ: نعمْ.

(٥٠) فقل له: إذا نحرتَ لمخلوق نبيٍّ أوْ جنيٍّ أوغيرهما، هلْ أشركتَ في

يدعى ويعبد ويرجى هو اللّه وحده لا شريك له.

(٤٩) يعني إذا بينت أن الدعاء عبادة فإنه لا يجوز صرفه إلا لله وحده، كما أن العبادة من الصلاة والنحر وغيرها لا تصرف إلا لله وحده.

(٥٠) أراد المؤلف بهذا أن يلزم هذا الذي يدعو غير اللّه عز وجل من الأنبياء والأولياء وغيرهم أنّه مشرك، وذلك بأن يُسأل إذا صليت لهؤلاء أو نحرت لهم فهل أنت أشركت؟ فسيكون جوابه نعم إنه أشرك، فقل له: وكذلك إذا دعوت هؤلاء فإنك قد أشركت لأن الدعاء عبادة قال تعالى: ﴿وَقَالَ ربكم ادْعُوني أستَجِب لكُم إنَّ الَّذينَ يَستكبرونَ عَنِ عِبادَتي سَيَدخُلون جَهَنَّم دَاخِرين﴾[1] [سورة غافر: آية٦٠]، وهذا إلزام واضح إذ أنه لو قال أن دعاء هؤلاء غير عبادة وأن الصلاة لهم والنحر لهم عبادة لكان متناقضاً.

=(٢٦٧/٤) والترمذي (٤٢٦/٥) وفي التحفة (٣١١/٩) في باب ما جاء في فضل الدعاء، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٩١/١) وصححه ووافقه الإمام الذهبي، وانظر صحيح الترمذي برقم (٢٥٩٠) في باب التفسير، وصحيح ابن ماجة رقم (٣٠٨٦) في باب فضل الدعاء.

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره القرآن العظيم» (٨٨/٤) وقوله عز وجل ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ أي عن دعائي وتوحيدي ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ صاغرين حقيرين. أهـ =

هذه العبادة غير اللَّه؟ فلا بدّ أنّ يقرّ، ويقول: نعم.

(٥١) وقُل لهُ أيضاً: المشركون الذين نزلَ فيهمُ القرآنُ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصّالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بدّ أن يقول: نعمْ فقلْ له: وهل كانت عبادتهمْ إيَّاهمْ إلاّ في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلاّ فهمْ مقرّون أنّهمْ عبيد اللَّه وتحتَ قهره، وأنّ اللَّه هو الذي يدبّرُ الأمر ولكن دعوْهمْ، والتجئوا إليهمْ للجاه والشّفاعة، وهذا ظاهرٌ جداً.

---

(٥١) يقول أيضاً من جهة إلزام هذا المشرك اسأل هؤلاء الذين يعبون الملائكة واللات والعزى هل هم يعبدونها يعتقدون أنها تخلق وترزق وتدبر أم هم يعبدونها ويدعونها من دون اللَّه ولا شك أن الثاني هو الواقع فإن هؤلاء يقرون بأن الملائكة واللات والعزى لا تدبر شيئاً ولا تخلق شيئاً، ولكنهم يدعونهم ليقربوهم إلى اللَّه، ومع هذا فإنهم مشركون لأنهم دعوا غير اللَّه عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه.

= وقال الحافظ البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» (١٥٦/٧) طبعة دار طيبة: قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ أي: اعبدوني دون غيري أجِبكم وأُثِبْكُم وأغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإنابة استجابة. أهـ

الفصل التاسع

الفرق بين الشفاعة الشرعية والشركية

(٥٢) (فإنْ قال) أتنكر شفاعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم وتبرأ منها فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو صلّى اللّه عليه وسلّم الشافع والمشفع وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها للّه كما قال تعالى: ﴿قُلْ للّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾. [سورة الزمر:آية ٤٤].

(٥٣) ولا تكون إلاّ من بعد إذن اللّه كما قال عزّ وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

---

(٥٢) يعني إذا قال لك المشرك هل تنكر شفاعة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم؟ وهو يقول هذا من أجل أن يلزمك بجواز دعاء النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أن يشفع لك عند اللّه، فقل له لا أنكر هذه الشفاعة ولا أتبرأ منها ولكني أقول إن الشفاعة للّه ومرجعها كلها إليه وهو الذي يأذن فيها إذا شاء ولمن شاء (١) لقول اللّه تعالى: ﴿قُلْ للّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلكُ السموات والأَرْض﴾ [سورة الزمر آية :٤٤].

(٥٣) يقول المؤلف رحمه اللّه تعالى: إن الشفاعة للّه عز وجل هو الذي يأذن فيها ويقبلها، ولكن لا بد فيها من شرطين:

الشرط الأول: أن تكون بإذن اللّه كما في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا

---

(١) كما جاء ذلك عن مجاهد رحمه اللّه في تفسيره للآية ﴿قل للّه الشفاعة جميعاً﴾.
انظر تفسير البغوي رحمه اللّه (١٢٣/٧).

عِنْدَهُ إلاّ بإذْنِه﴾ [سورة البقرة: اية ٢٥٥]، ولا يشفع النبي صلّى الله عليه وسلّم في أحدٍ إلاّ من بعد أن يأذن الله فيه(١) كما قال عزّ وجل: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاّ لِمَنْ ارتَضى﴾ [سورة الأنبياء: اية ٢٨].

(٥٤) وهو سُبحانهُ لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

بإذْنِه﴾.

الشرط الثاني: أن يرضى الله عز وجل عن الشافع والمشفوع له، لقوله: ﴿يَومَئِذٍ لا تَنفَعُ الشّفاعَةُ إلا مَن أذِنَ لَهُ الرّحْمنُ ورَضيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [سورة طه: آية ١٠٩]، ولقول اللّهِ تعالى: ﴿ولا يَشْفَعونَ إلاّ لِمَن ارتضى وَهُمْ مِنْ خَشيَتِهِ مُشْفِقون﴾ [سورة الأنبياء: آية ٣٨]، ومن المعلوم أنّ اللّه لا يرضى إلا بالتوحيد ولا يمكن أن يرضى الكفر لقوله تعالى: ﴿إنْ تكفرُوا فإنّ اللّه غَنِيٌّ عنكم ولا يَرضى لِعِبادهِ (٢) الكفْر وإن تشكُروا يرْضه لكُم﴾ [سورة الزمر: آية ٧]، فإذا كان لا يرضى فإنه لا يأذن بالشفاعة للكافر.

(٥٤) هذا الكلام هو معنى ما تكلمنا عليه أن الشفاعة لا بد فيها من شرطين: إذن

---

(١) حديث الشفاعة أخرجه البخاري في كتابه «التوحيد» (٢٧٢٧/٦)، ومسلم في كتاب الإيمان (١٨١/١) من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه وفيه «... فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى اللّه عليه وسلم، فيأتوني فأقول أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني من أمور أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتي أمتي...» لفظ البخاري.

(٢) قوله ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعبادة المؤمنين الكفر وهم الذين قال اللّه تعالى فيهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: اية ٤٤]، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى، وأجراه قوم من أهل العلم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، فإن كفر الكافر غير مرضي للّه عز وجل وإن كان بإرادته كما قال جماعة من السلف رحمهم اللّه.

الإسْلامَ ديناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنْه﴾ [سورة آل عمران:اية ٨٥]، فإذا كانت الشفاعة كلها للّه ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ولا غيره في أحدٍ حتّى يأذن اللّه فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كّلها للّه وأطلبها منه وأقول: اللّهمّ لا تحرمني شفاعته، اللّهمّ شفّعْهُ فيّ، وأمثال هذا.

(٥٥) فإن قال: النبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله فالجواب أن اللّه أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: ﴿فلا تَدْعوا مَعَ

اللّه تعالى فيها، ورضاه عن الشافع والمشفوع له. ولا يرضى اللّه سبحانه وتعالى أن يشفع أحد في أحد إلا بالتوحيد.

(٥٥) فإن قال أي المشرك الذي يدعو رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم إن اللّه أعطى محمداً صلّى اللّه عليه وسلم الشفاعة فأنا أطلبها منه فالجواب: إن اللّه سبحانه وتعالى أعطاه الشفاعة ولكنه صلّى اللّه عليه وسلّم لا يشفع إلا بإذن اللّه ولا يشفع إلا لمن ارتضاه اللّه ومن كان مشركاً فإن اللّه لا يرتضي أن يشفع له كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشّافعِين﴾[سورة المدثر آية ٤٨]، وأيضاً إنّ اللّه تعالى أعطى الشفاعة غير محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فالملائكة يشفعون والصديقين يشفعون والأولياء[١] كذلك فهل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء؟ ومن المعلوم أنه لن يقول بذلك، وعلى ذلك يكون قد خصم، ثم إن هذا المشرك ليس يريد من رسول اللّـه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أن يشفع له، ولو كان يريد ذلك لقال: اللهم شفع فيَّ نبيك

---

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في الإيمان (٨١/١) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه «فيقول اللّه عز وجل شفعت الملائكة وتشفع النبيون وتشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين...» وقد وردت الشفاعة أيضاً للشهداء، فأخرج أحمد في «مسنده» (١٣١/٤) وابن ماجة في «سننه» (٩٣٥/٢-٩٣٦) وعبدالرزاق في «مصنفه» (٢٦٥/٥) وسعيد بن منصور في «سننه» (٢١٧/٢-٢١٨) وأحمد بن عبدالواحد المقدسي في «فضل الجهاد والمجاهدين» (ص/٨٥) كلهم من حديث المقدام بن الكندي قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم=

اللهِ أحَداً﴾، وأيضاً فإنّ الشفاعة أعطيها غيرُ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، فصحّ أنّ الملائكة يشفعون والأفراط[1] يشفعون والأولياء يشفعون، أتقول: إنّ اللّه أعطاهم الشّفاعة وأطلُبها منهم.

(٥٦) فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر اللّه في كتابه، وإن قلت لا، بطل قولك أعطاه اللّه الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللّه.

محمداً رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولكنه يدعوا الرسول مباشرة ودعاء غير اللّه شرك أكبر مخرج من الملة، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعوا مع اللّهّ غيره أن يشفع له أحد عند اللّه سبحانه وتعالى؟!!

(٥٦) يعني إنك إن قلت أنني أطلب الشفاعة من غير النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وقعت في الشرك الذي بينه اللّه عز وجل في كتابه، وإن قلت: لا، بطل قولك إن اللّه أعطاه الشفاعة وأنا أطلبها منه، وعلى كل حال فيكون قولك (أي المشرك) باطل على كل تقدير.

=«للشهيد عند اللّه عز وجل ستة خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه... ويشفع في سبعين إنساناص من أقاربه» هذا لفظ أحمد وسنده جيد، وأخرجه أيضاً أحمد في «المسند» (١٣١/٤) من حديث عبادة ابن الصامت قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣٢٠/٢) وإسناد أحمد حسن، وانظر تخريج الطحاوية للشيخ الألباني (ص/٢٦٠).

(١) الفرط: الطفل، قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط (ص/٨٧٩) طبعة مؤسسة الرسالة في باب الطاء فصل الفاء: فرط:... أو ولداً ماتوا له صغاراً، وفي الحديث عن أنس رضي اللّه عنه قال: النبي صلى اللّه عليه وسلم: «ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغن الحنث إلا أدخله اللّه الجنة بفضل رحمته إياها» ورواه البخاري (١٤٢/٣٥ رقم ١٢٤٨) الفتح، وأخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم».

الفصل العاشر

إثبات أن الالتجاء إلى الصالحين شرك
وإلجاء من أنكر ذلك إلى الاعتراف به

(٥٧) فإنْ قالَ: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاش وكلاّ ولكنّ الالتجاء إلى الصالحين ليس بشركٍ، فقل له: إذا كنت تقرُّ أنّ اللّه حرّم الشّرك أعظم من تحريم الزنا، وتُقرُّ أنّ اللّه لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرّمه اللّه وذكر أنّه لا يغفرهُ، فإنّه لا يدري.

(٥٨) فقلْ لَهُ: كيف تُبَرّىءُ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفهُ، أم كيف يحَرّم اللّه عليك هذا ويذكرُ أنّهُ لا يغفِرُهُ ولا تسأل عنه ولا تعرفُهُ، أتظنُّ أنّ اللّه يحرّمه ولا

---

(٥٧) إذا قال هذا المشرك أنا لا أشرك باللّه شيئاً ولكنني أطلب منه الشفاعة أي من النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، فقل له إن اللّه تعالى عظّم الشرك وجعله ذنباً لا يُغفر، فهو أعظم من الزنا ومن قتل النفس ومن شرب الخمر، فما هذا الشرك الذي عظّمه اللّه هذا التعظيم؟ فإنه سوف لا يدري ولا يجيب بالصواب ما دام يعتقد أن طلب الشفاعة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ليس بشرك فهو دليل على أنه لا يعرف الشرك الذي عظّمه اللّه تعالى وقال فيه ﴿إنّ الشّركَ لَظُلْمٌ عَظيم﴾ [سورة لقمان آية ١٣].

(٥٨) نقول له إذا كنت لا تعرف الشرك الذي حرمه اللّه عزّ وجل فكيف تقول إنك لست بمشرك وهل يظن أحد أنّ اللّه سبحانه وتعالى حرم الشرك وعظّمَهُ ثم لم يبينه لخلقه!؟ إنه قد بينه لخلقه وأنت لا تعرف هذا الشرك الذي حرمهُ، فعليك أن

يبينه لنا؟؟

(٥٩) فإنْ قال: الشركُ عبادةُ الأصنام ونحن لا نعبُدُ الأصنام فقلْ: وما معنى عبادةُ الأصنام؟ أتظنّ أنّهم يعتقدون أنّ تلك الأخشاب والأحجار تخلُقُ وترزق وتدبّر أمر من دعاها، فهذا يكذّبه القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنْ السَّمَاءِ وَالأرْضِ﴾ الاية.

(٦٠) وإن قال هو من قصد خشبةً أو حجراً أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون لَهُ ويقولون إنّه يقرّبنا إلى اللّه زلفى ويدفع عنّا ببركته أو يعطينا ببركته، فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

تعرف أولاً هذا الشرك الذي عظّمه اللّه عز وجل ثم تعرف هل أنت واقعٌ فيه أم سالم منه؟

(٥٩) فإن قال الشرك عبادة الأصنام، فقل له: ما هي عبادة الأصنام، هل تظن أن هؤلاء يعتقدون أن هذه الأصنام تخلق وترزق وتدبر؟ إن زعمت ذلك فقد كذّب ذلك القرآن.

(٦٠) يقول المؤلف رحمه اللّه تعالى: شبهة الذين يعبدون مع اللّه غيره ويدعونه يقول إننا لسنا ندعوهم إنما نأتي إلى قبورهم وأمكنتهم نتبرك بها ونرجو بركتها، وهو صادق في هذا ولكنه مع ذلك يعبدهم ويدعوهم ويستغيث بهم وهذا هو الشرك لأن اللّه سبحانه وتعالى جعل الدعاء له وحده ﴿وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: اية ٦٠]، وقوله:

(٦١) فهذا أقرّ أنّ فعلهم هذا هو عبادةُ الأصنام فهو المطلوب. ويقال لهُ أيضاً قولك: «الشرك عبادةُ الأصنام»، هل مرادُك أنّ الشّرك مخصوصٌ بهذا، وأنّ الاعتماد على الصالحين ودعاءهُمْ لا يدخل في ذلك؟ فهذا يردُّهُ ما ذكر اللّه في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصّالحين.

(٦٢) فلا بُدّ أنْ يُقِرَّ لَكَ أنّ مَنْ أشْرَكَ في عبادة اللّه أحداً من الصالحين فهو الشّرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

(٦٣) وَسِرُّ المسألة أنّهُ إذا قال: أنا لا أشركُ باللّه، فقُلْ لَهُ: وما الشّركُ باللّه؟

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللّهِ إلهاً آخرَ لا بُرْهَانَ لَهُ به فإنَّمَا حِسَابَه عِندَ رَبِّهِ إنَّهُ لا يُفلِحُ الكَافِرون﴾ [سورة المؤمنون: آية ١١٧].

(٦١) إذا قال المشرك: ليس هو العبادة: يعني كأنه يريد أن الدعاء ليس عبادة، فإنّ هذا يرد ما ذكره اللّه سبحانه عنهم أي المشركين في تعلقهم بغير اللّه عز وجل من الملائكة والصالحين وغيرهم، حيث يعلقون آمالهم ورجائهم على هؤلاء ويرغبون إليهم كما يرغبون إلى اللّه عز وجل.

(٦٢) يقول: أن هذا سيقر لك لأنّ الشرك الذي ذكره اللّه تعالى في كتابه هو العبادة وهذا هو المطلوب، لأننا نقول له إن الدعاء هو العبادة، كما في الآية التي ذكرناها آنفاً ﴿وقَالَ ربكم ادعُونِي أَستَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُون جَهَنّمَ دَاخِرِين﴾ [سورة غافر: آية ٦٠]، ولم يقل عن دعائي لأن الدعاء عبادة.

(٦٣) يقول رحمه اللّه مبيناً أن هذا الذي أورد هذا الشبهات، اسأله ما هي

فسِّرهُ لي. فإن قال: هو عبادةُ الأصنام، فقل: وما معنى عبادةالأصنام فسِّرها لي؟ فإنْ قال: أنا لا أعبُدُ إلاّ اللّه (وحدهُ) فقُل: ما معنى عبادة اللّه وحدهُ فسِّرها لي؟.

(٦٤) فإن فسّرَها بما بَيّنَهُ القُرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه.

(٦٥) وإن فسّرَ ذلك بغير معناه بيّنتَ لهُ الايات الواضحات في معنى الشرك باللّه وعبادة الأوثان، أو أنّه الذي يفعلون في هذا الزّمان بعينه.

العبادة؟ وما معناها؟ فإنّه سوف يفسرها بغير معناها الحقيقي، سيقصرها على الركوع والسجود للأصنام، مع أَنَّ ما كان عليه من دعاء غير اللّه هو الشرك، وبهذا نعرف أنه ليس عنده علم بالشرك نفسه حتى يقول أو حتى يميز بين الشرك وغير الشرك مما يدل على جهله بحقيقة الأمر وأنه جاهل بنفسه وجاهل بما كان يعمل به من الشرك الذي يظنه توحيداً.

(٦٤) فإن فسرها أي العبادة بما دل عليه القرآن فهو تفسير مقبول، يتبين به أنّه من المشركين، وإن قال لا أعرف فكيف ينفي شيئاً وهو لا يعرف معناه ولا يهتدي إليه لأن الحكم على الشيء بنفي أو إثبات إنما يكون بعد معرفته، كما قيل الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذه قاعدة أصولية معروفة.

(٦٥) وإن فسرها أي العبادة بغير معناها الشرعي بينت له المعنى الشرعي للعبادة أن الذين يفعلون في عصرهم هذا هو الشرك بعينه الذي استباح به النبي صلّى اللّه عليه وسلّم دماء هؤلاء المشركين وأموالهم. كما جاء في حديث عبداللّه بن عمر رضي اللّه عنهما الصحيح.

(٦٦) وأنّ عِبادة اللّه وحدَهُ لا شريكَ لهُ هي التي يُنكرون علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أجَعَلَ الالِهَةَ إلهاً واحِداً إنْ هذا لَشَيءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص:٥-٧].

فإن قال(١): إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لمّا قالوا: الملائكة بنات اللّه، فإنّا لم نقل عبد القادر ابن اللّه ولا غيره.

فالجواب: أنّ نسبة الولد إلى اللّه كفرٌ مستقل، قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ هُو اللّهُ

---

(٦٦) وتَبيَّنَ أيضاً أن عبادة اللّه وحده هي التي ينكرونها علينا ويصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول صلّى اللّه عليه وسلّم ﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِداً إنّ هَذا لَشَيٌ عُجَاب وانطَلَقَ المَلأُ مِنهُمْ أن امْشُوا واصْبِروا عَلى آلِهتِكُم إنّ هَذا لَشَيءٌ يُرادُ مَا سَمِعْنا بِهَذاَ فِي المِلَّةِ الآخِرة إن هذا إلاّ اخْتِلاَق﴾(٢) [سورة ص: آية ٥-٧].

---

(١) من هنا إلى قوله: (حق بين باطلين) ساقط من نسخة [كشف الشبهات] التي علق عليها الشيخ حفظه اللّه ومن كثير من النسخ المطبوعة، وقد أثبتناها من النسخة التي حققها الأخ الفاضل بدر البدر وطبعتها دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت. (الناشر).

(٢) عن عباس قال: «مرض أبو طالب فجائته قريش وجاءه النبي صلى اللّه عليه وسلم، وعند أبو طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه وشكوه إلى أبي طالب، فقال يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية، قال كلمة واحدة! قال كلمة واحدة، قال يا عم: يقولوا لا إله إلا اللّه، فقالوا: إلهاً واحداً؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا إختلاق، فقال فيهم القرآن ﴿ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق... إلى قوله تعالى: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ رواه الترمذي (٥/٣٦٦) وأحمد (١/٢٢٣) والنسائي (٥/٢٣٥).

انظر «اسباب النزول» للواحدي بتحقيق عاصم الحميدان.

أَحَدٌ اللّه الصَّمَد﴾[الإخلاص: آية ١-٢].

والأحد: الذي لا نظير له، والصمد: المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة.

وقال اللّه تعالى: ﴿ما اتّخذَ اللّهُ من ولَدٍ وَما كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَه﴾ [سورة المؤمنون: آية ٩١] ففرق بين النوعين، وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ شُركاءَ الجِنَّ وخَلَقَهُم وخرَقُوا لَهُ بَنينَ وبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْم﴾ [سورة الأنعام: آية ١٠٠]. ففرق بين كفرين.

والدليل على هذا أيضاً: أنّ الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن اللّه، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك أيضاً العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في «باب حكم المرتد» أن المسلم إذا زعم أنّ للّه ولداً فهو مرتد، ويُفرّقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: ﴿ألاَ إنّ أَولِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُون﴾[يونس: آية ٦٢] فقل: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، ولكن لا يُعبَدون.

ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع اللّه وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودينُ اللّه وسط بيّن الطرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

الفصل الحادي عشر

إثبات أن شرك الأولين
أخف من شرك أهل زماننا بأمرين

(٦٧) فَإذا عَرفت أنّ هذا الّذي يُسَمّيه المشركون في زماننا هذا: «كبير الاعتقاد»، هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النّاس عليه، فاعلم أنّ شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أنّ الأوّلين لا يشركون ولا يَدْعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون للّه الدين، كما قال تعالى: ﴿وإذا مَسّكُمُ الضُّرُّ في البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلاّ إيّاهُ فَلَمّا نَجّاكُمْ إلى البَرِّ أعرضتّم، وكان

---

(٦٧) فإذا علمت معنى العبادة، وما كان عليه المشركون في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي صلّى الله عليه وسلّم، من وجهتين:

الوجه الأول: أن هؤلاء يشركون باللّه في الشدة والرخاء. وأما أولئك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم فإنما يشركون في الرخاء، ويخلصون في حالة الشدة، كما قال تعالى: ﴿وإذَا مَسّكُمُ الضُّرُّ في البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعون إلاَ إيّاه...﴾ الآية فكانُوا إذَا رَكِبواْ في الْفُلْكِ دَعو اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّين لا يَدْعُون غَيْرَهُ ولا يَسألون سِواه ثمّ إذا أَنْجاهُم إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُون أو فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِم يُشْرِكُون، فهذا هو وجهه.

الإنسانُ كَفُورا﴾ [سورة الإسراء: آية ٦٧].

(٦٨) وقوله: ﴿قُلْ أرأيْتكُمْ إنْ أتَاكُم عَذَابُ اللّه أوْ أتتكُمُ السّاعَةُ أغيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إنّ كُنتُمْ صَادِقِين بَلْ إيّاهُ تَدْعونَ فَيكْشِفُ ما تَدْعونَ إلَيْه إنْ شَاءَ وَتَنسَونَ ما تُشْرِكونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٣٩-٤٠].

(٦٩) وقوله: ﴿وإذاَ مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنيباً إلَيْه ثُمَّ إذاَ خَوّلَهُ نِعْمةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعوُا إلَيه مِنْ قَبْل وَجَعَلَ لِلّهِ أنْداداً لِيُضِلَّ عَن سَبيلِهِ قُلْ تَمَتّعْ بِكُفْرِكَ قَليلاً إنّكَ مِنْ أصْحَابِ النَّارِ﴾ [سورة الزمر: آية ٨].

(٧٠) وقوله: ﴿وإذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَل دَعُوا اللّه مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة لقمان: آية ٣٢].

---

(٦٨) وهذه أيضاً تدل على أنهم كانوا يشركون في حال الرخاء وأنهم إذا أتاهم عذاب أو أتتهم الساعة فإنهم لا يدعون غير اللّه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ إِيّاَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ فهم في هذه الحال ينسون ما يشركون، ولا يدعون سوى اللّه عز وجل.

(٦٩) وهذه أيضاً كالآيتين التي قبلها، تدل على أن الإنسان إذا مسّه الضر دعا ربه منيباً إليه، ولكنه ﴿إِذَا خَوّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْل وَجَعَلَ لِلّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ [سورة الزمر: آية ٨].

(٧٠) هذه أيضاً كالآيات السابقة تدل على أن هؤلاء المشركين إنما يشركون باللّه في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيلجأون للّه وحده.

(٧١) فمن فهم هذه المسألة التي وضحها اللّه في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يدعون اللّه ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضرِّ والشّدّة فلا يدعونَ إلا اللّه وَحدهُ لا شريك لَهُ وينسون ساداتهم.

(٧٢) تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ واللّه المستعان[١].

---

(٧١) يبين رحمه اللّه أنّ المشركين في زمانه أشد شركاً من مشركي زمان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، لأن مشركي زمانه يدعون غير اللّه في الرخاء وفي الشدة، وأما المشركون في عهد الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم، فإنّهم يدعون اللّه ويدعون غيره في حالة الرخاء، وأما في حال الشدة فلا يدعون إلا اللّه عز وجل، وهذا يدل على أن شرك المشركين في زمانه رحمه اللّه أعظم من شرك المشركين في عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم.

(٧٢) يقول من تدبر ذلك وعرفه تمام المعرفة تبين له الفرق، بين مشركي زمانه

---

(١) قال الفقي: بل شرك الناس اليوم أفظع وأشنع، لأنهم اعتقدوا.. في أوليائهم الموتى أنهم يُدبِّرون الكون ويتصرفون في قبضه وبسطه، ورفعه وخفضه، والعزل والتولية، والقهر والتحكم في اللّه بما يشاؤون، وأن مجلس أوليائهم برئاسة الميت الفلاني والميتة الفلانية هو الذي يدبر الأمور ويصرّفها، وغير ذلك من العقائد الوثنية البشعة التي لم تكن عند كفار قريش، بل كانوا أقل وقاحة وفجوراً من مشركي الصوفية في هذه الأزمنة التي اشتدت فيها غربة الإسلام، حتى بلغ الأمر بالمنتسبين إلى العلم أن يكفروا ويحاربوا كل داع إلى توحيد عبادة اللّه وإخلاص الدين له كما جاء به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ فطوبى للغرباء الذي يصلحون عند فساد الناس ويصلحون ما أفسد الناس، اللهم اجعلنا منهم.

وقال ابن مانع: إن من نعم اللّه على عباده أن التوحيد الصحيح المبني على الكتاب والسنة قد انتشر في=

(٧٣) والأمر الثاني: أنّ الأوّلين يدعون مع اللّه أناساً مقرّبين عند اللّه إمّا أنبياء وإمّا أولياء وإمّا ملائكةً ويدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعةً للّه ليستْ عاصيةً(١)، وأهل زماننا يدعونَ مع اللّه أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك(٢).

رحمه اللّه والمشركين في عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ولكن أين من يفهم قلبه ذلك، أكثر الناس في غفلةٍ عن هذا وأكثر الناس يلبس عليهم الحق الباطل فيظنون الباطل حقاً كما يظنون الحق باطلاً.

(٧٣) قال الأمر الثاني في الفرق بين مشركي زمانه وزمان الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم أن المشركين في عهد الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم يدعون أناساً مقربين من

= هذا الزمن وكثر أتباعه والدعاة إليه وذلك رحمة من اللّه لعباده ثم بسبب انتشار كتبه كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ الإسلام المصنف وأولاده وتلاميذهم فجزاهم اللّه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

(١) قال الفقي: أي خاضعة لسنة اللّه الكونية، كما قال تعالى: ﴿ولله يَسجُدُ مَن في السموات ومن في الأرض﴾ [سورة الرعد: آية ١٥] وقال: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرها﴾ [سورة آل عمران: آية ٨٣] وليست متمردة على اللّه تمرد هؤلاء الكافرين الذين ما خلقهم اللّه إلاّ لعبادته وحده، فاستكبروا على اللّه واياته، وفسقوا على أمر شرعه، واتخذوا من دونه آلهة يحبونهم كحب اللّه، وما عبدت الأشجار والأحجار لنفسها، وإنما عبدت لأنها آثار أنبياء وصالحين. ولذلك قطع عمر رضي اللّه عنه شجرة بيعة الرضوان حين رأى الناس يتحرون مجيئها والصلاة عندها.

(٢) بل آل الأمر إلى أنهم يحكون هذه القبائح ويعدونها من الكرامات كما ذكر الشعراني في طبقاته عن كرامات سيده (علي وحيش) أنه كان يفعل الفاحشة بالحمير على باب السوق.

انظر كتاب «هذه هي الصوفية» للوكيل، و «التصوف بين الحق والخلق» للشقفه، و «الكشف عن حقيقة الصوفية».

(٧٤) والذي يعتقد في الصّالح والّذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممّن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

أولياء اللّه عز وجل أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة للّه ذليلة له، أما هؤلاء يعني المشركين في زمانه فإنهم يدعون من يحكون عنهم الفجور والزنا والسرقة وغير ذلك من معاصي اللّه عز وجل، فهم لا يدعون أحداً له عند اللّه عز وجل وذلك قربى ومنزلة؛ ولا يعني هذا أن الشيخ رحمه اللّه يرى جواز دعاء غير اللّه مع اللّه عز وجل وذلك من المقربين كالأنبياء والملائكة وغيرهم من الأولياء والصالحين.

(٧٤) يقول رحمهُ اللّه: إنّ الذي يدعو الرجل الصالح أو يدعو مالا معصية عنده كالأشجار والأحجار أهون ممن يدعو من كان عاصياً للّه تعالى يشاهده هو بنفسه أو يعلم به.

والشيخ رحمه اللهّ يعني بقوله «أهون» يعني أنه له مبرر بعض الشيء، ليس المعنى أن شرك أهون من شرك فالشرك واحد لكن قد يكون له مبرر بخلاف الذي يدعو من يعرف فجوره وفسقه.

الفصل الثاني عشر

كشف شبهة من زعم أن من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد وأدلة ذلك بالتفصيل

(٧٥) إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أصحُّ عقولاً وأخفُّ شركاً من هؤلاء فاعلم أنّ لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها وهي أنّهم يقولون: إنّ الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه ويكذّبون الرّسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه، ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلّي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

---

(٧٥) يقول رحمه اللّه: إذا عرفت أن مشركي زمانه أعظم شركاً من المشركين في عهد الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم، وأن المشركين في عهده عليه الصلاة والسلام أصح قولاً من هؤلاء فاعلم أنهم يريدون أو يوردون شبهة حيث يقولون إن المشركين في عهد الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم لا يشهدون أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسول اللّه، ولا يؤمنون بالبعث ولا الحساب، ونحن يعني (مشركين زمانه) نشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، ونؤمن بالبعث ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وهذه شبهة ولا شك.

(٧٦) فالجواب أنَّه لا خلاف بين العلماء كلّهم أنّ الرّجُل إذا صدّق رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في شيءٍ وكذّبَهُ في شيءٍ أنَّه كافرٌ لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرَّ بالتَّوحيد، وجحد وجوب الصلاة.

---

(٧٦) يقول رحمه اللّه أنهم إذا قالوا هذا، يعني أنهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه إلى آخره، فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم وكذب به، فهو كمن كذب بالجميع وكفر به ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء[١] لقول اللّه تعالى: ﴿إِنّ الّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِه وَيُرِيدُون أنْ يُفرِّقوا بيْنَ اللّه وَرُسُلِه وَيَقُولونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْكِتَاب وَنَكْفُرُ بِبَعْض وَيُرِيدُون أنْ يَتَّخِذُوا بيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا[٢] أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[٣] [سورة النساء: آية ١٥٠-١٥١]، وقوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعض فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلاّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّون إلَى أشَدِّ الْعَذَاب وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمّا تَعْمَلُون﴾ [سورة: البقرة آية ٨٥].

---

(١) وهذا يجب قتاله حتى يكون الدين كله للّه عز وجل.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه في معرض الجواب على سؤال عرض عليه عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه في «المجموع» (٢٣٠/٣) (٦١٩/٧) وقد أخرج في جزء مفرد بتحقيق/ طالب بن محمود العراوة طبع في الدار السلفية في الكويت سنة (١٤٠٨هـ)، قال رحمه اللّه في معرض جوابه: الحمد للّه رب العالمين، أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله للّه.

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه في تفسيره (٤٥٧/١/م): ...والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ولهذا قال اللّه تعال: ﴿إن الذين يكفرون باللّه ورسله﴾ فوسمهم بأنهم كفار باللّه ورسله. أهـ.

(٧٧) أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم يَنْقدْ أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1] [سورة آل عمران: آية ٩٧].

(٧٨) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمُهُ ومالُهُ، كما قال جلّ جلالُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

---

(٧٧) يقول رحمه اللّه إنّ من آمن باللّه واليوم الآخر وجحد وجوب الصلاة، أو آمن باللّه واليوم الآخر وأقر بوجوب الصلاة وجحد وجوب الزكاة، وجحد وجوب الصوم، أو أقر بذلك وجحد وجوب الحج فإنه كافرٌ، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ -يعني من كفر بكون الحج واجبٌ أوجبه اللّه على عباده- فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ وقول المؤلف رحمه اللّه ولما لم ينقد إلى آخره ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا ولم أعلم لما ذكره الشيخ دليلاً.

(٧٨) ومن أقر بهذا كله أي بشهادة أنْ لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ووجوب الصلاة والزكاة والحج والصيام، لكنه كذب بالبعث فإنه كافر باللّه العظيم لقول اللّه تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَا يُبْعَثُوا (لن) قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ

---

(١) ما ساقه المؤلف رحمه اللّه من أن سبب نزول هذه الآية (اية ٩٧ من سورة آل عمران) أن أناس في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم ينقادوا للحج، لم أجده في كتب أسباب النزول كـ «أسباب النزول» للواحدي و «أسباب النزول» للسيوطي، وكذلك لم أجده في كتب التفسير عند تفسيرهم لهذه الآية في كتبهم، واللّه تعالى أعلم.

ويَقولونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ ويُريدُون أنْ يَتَّخِذوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُلئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وأعْتَدْنَا لِلكَافِرِين عَذَاباً مُهِيناً﴾ [سورة النساء: آية ١٥٠-١٥١].

(٧٩) فإذا كان اللّه قدْ صرَّحَ في كتابهِ أنّ مَن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً زالت هذه الشبهة(١)، وهذه التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا(٢).

ويُقال: إذا كنت تُقِرُّ أنّ من صدّق الرسول في كل شيءٍ وجحد وجوب الصلاة، أنّه كافرٌ حلال الدّم بالإجماع، وكذلك إذا أقرّ بكل شيء إلا البعث(٣) وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان لا يجحد هذا، ولا تختلف المذاهب فيه،

ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسيرٌ﴾ [سورة التغابن: آية ٧].

(٧٩) يقول رحمه اللّه: إذا عرفت وأقررت بأن من جحد الصلاة والزكاة والصيام والحج والبعث كافرٌ باللّه العظيم، ولو أقر بكل ما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم سوى ذلك فكيف تنكرون أنْ يكون من كذب بالتوحيد وأشرك باللّه تعالى

---

(١) قال الفقفقي: في قوله سبحانه: ﴿افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ [سورة البقرة: اية ٨٥]، وكان ذلك في رد بني اسرائيل بعض أحكام التوراة في الأسر والفداء والقتال، وأن اللّه قد أقسم على كفر من لم يرضى بحكم الرسول في بعض المال ولم يكن في عبادة اللّه والإيمان به، فكيف إذا كان في أصل الأصول والأساس الذي يقوم عليه كل شيء، وهو في اخلاص العبادة للّه....؟!

(٢) قال ابن مانع: كانت أحساء في زمن الشيخ آهلة بالعلماء من سائر المذاهب فعاند بعضهم وهدى اللّه بعضاً فاتبع الحق والهدى بتوفيق اللّه.

(٣) قال ابن مانع: أي فهو كافر حلال الدم والمال.

وقد نطق به القرآن كما قدّمنا، فمعلومٌ أنّ التوحيد هو أعظم فريضةٍ جاء بها النبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم، هو أعظم من الصّلاة والزُّكاة والصّوم والحجّ، فكيف إذا جحد الإنسانُ شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرّسول صلى اللّه عليه وسلم، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرّسل كلّهم لا يكفر، سبحان اللّه! ماا أعجب هذا الجهل[1]!!.

(٨٠) ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا[2] مع النّبيّ صلى اللّه عليه وسلّم، وهم يشهدون أن لا إله إلاّ اللّه

يكون كافراً ؟ إنّ هذا لشيءٌ عجيب، أن تجعل من كذب بالتوحيد مسلماً ومن كذب بوجوب هذه الأشياء كافراً، مع أنّ التوحيد هو أعظم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو أعم ما جاءت به الرسل، فجميع الرسل قد أرسلت به، وهو أصل هذه الواجبات التي يكفر من أنكر وجوبها إذ لا تصح إلا به كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنّهُ لا إِلَهَ إلاّ أَنَا فاعبُدون﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٥] فإذا كان من أنكر وجوب الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج أو أنكر البعث كافراً فمنكر التوحيد أشد كفراً وأبين وأظهر.

(٨٠) استدل المؤلف رحمه اللّه تعالى بكون الشرك كفراً يبيح الدم والمال لأن

---

(١) قال ابن مانع: إذا ظهر السبب بطل العجب فالمشركون عباد الأموات اعتقدوا أن صرف مخ العبادة لغير اللّه ليس بشرك وإنما الشرك هو السجود للأصنام وأما الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة بغير اللّه فهو مما يقربهم إلى اللّه وقد صرحوا بذلك في كتبهم، ومع ذلك فقد سجدوا لغير اللّه، يعرف ذلك من درس أحوالهم وشاهد كفرهم عند ضرائح أوثانهم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب استتابه المرتدين والمعاندين وقتالهم باب: قتل من أبى قبول الفرائض وما نُسبوا إلى الردة، «الفتح» (٦٩٢٤/١٢) طبعة ابن تيمية قال: «لما توفي النبي صلى اللّه عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب ...»

وأنّ محمّداً رسول اللّه، ويصلّون ويؤذنون، فإن قال: إنّهم يقولون: إنّ مسيلمة[(١)] نبيٌّ، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النّبيِّ صلّى اللّه عليه وسلّم، كفر وحلّ مالُه ودَمُه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف[(٢)] أو صحابياً، أو نبيّاً، في مرتبة جبّار السموات والأرض؟

الصحابة رضيَ اللّه عنهم قاتلوا مسيلمة وأصحابه واستحلوا دمائهم وأموالهم وهم إنما نَزَّلوا مخلوقاً منزلة مخلوقٍ آخر، فكيف بمن نزل مخلوقاً منزلة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة مخلوق آخر، وهذا أمر واضح، ولكن كما قال اللّه تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[(٣)] [سورة الروم: آية ٥٩].

---

(١) قال الفقي: والمشركون اليوم رفعوا رؤساءهم فوق رتبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذ قدموا طاعتهم في شركهم وضلالهم على طاعة الرسول في الهدى والإيمان، وإذا قلت لأحدهم: قال اللّه وقال رسوله، قال لك في غيظ وحنق: قال الشعراني قال الشاذلي، قال ابن عربي وامثالهم من الطواغيت التي قدموا حكمها وطاعتها، وقدموا وحيها الشيطاني على وحي اللّه لأفضل خلقه وأكرم رسله صلى اللّه عليه وسلم، فلا فرق –واللّه– بينهم وبين مسيلمة وغيره من الدجالين الكذابين، إلا أنّ مسيلمة لم يكن في وقاحتهم وفجورهم، فالجامعة بينهم واحدة، وهي الكذب على اللّه ورسوله ورد الناس إلى الكفر، والأسماء لا تغير الحقـائق، والكـل يحسد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ويحاول انتزاع التعظيم الذي له في قلوب المسلمين إلى هؤلاء الطواغيت، وقد نجحوا في قلوب أكثر العامة والطغام، لأنهم مقلدون عمي البصائر، لا يعقلون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

(٢) شمسان ويوسف من الطواغيت التي كانت تعبد في نجد قديماً، كأمثال البدوي والدسوقي في مصر، وابن عربي في دمشق.

(٣) قال الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفي (٥١٦هـ) في تفسيره «معالم التنزيل» في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿كذلك يطبع اللّه على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي: توحيد اللّه أهـ (١٢٧٩/٦).

سبحان اللّه ما أعظم شأنه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّه عَلَى قُلُوبِ الّذِينَ لاَ يَعْلَمُون﴾ [سورة الروم: آية ٥٩].

(٨١) ويقال أيضاً: الذين حرقهم عليٌّ بن أبي طالب بالنّار، كلّهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في عليٍّ، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما.

(٨٢) فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أنّ الصّحابة يكفّرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والإعتقاد في عليٍّ

---

(٨١) قال المؤلف: ويقال أيضاً إن الذين حرقهم[1] علي بن أبي طالب بالنار، كانوا مسلمين يصلون ويدّعون الإسلام وتعلموا من الصحابة ومع ذلك لم يمنعهم هذا من الحكم بكفرهم وتحريقهم بالنار لأنم قالوا في علي بن أبي طالب مثل ما يدعي هؤلاء بمن يألهونهم، كشمسان وغيره.

(٨٢) يقول رحمه اللّه تعالى: فكيف أجمع الصحابة رضي اللّه عنهم على قتل هؤلاء، أتظنون أن الصحابة رضي اللّه عنهم يجمعون على قتل من لا يحل قتله، فإن ذلك لايمكن وبناءً على ذلك يتبين أنه ليس مجرد إقرارالإنسان بتوحيد الربوبية وبأنّ اللّه وحده لا شريك له في ربوبيته، يكفيه عن الحكم بكفره وردته.

---

(١) أثر علي رضى اللّه عنه أخرجه البخاري في «صحيحة» كتاب الجهاد: باب من لا يعذب بعذاب اللّه (٦/١٧/٣٠١٧) وفي استتابة المرتدين: باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم(١٢/٦٩٢٢)، وأبو داود رقم (٤٣٥١) في الحدود: باب الحكم فيمن ارتد، والترمذي رقم (٢٥٣٥)، والإمام أحمد (١/٢١٧-٢١٨).

ابن أبي طالب يكفر؟

(٨٣) ويقال أيضاً بنوا عبيد القدّاح[1] الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبَّاس كلّهم يشهدون أنْ لا إله إلاّ اللّه وأنّ مُحَمّداً رسول اللّه ويدّعون الإسلام، ويصلّون الجمعة والجماعة فلمّا أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما

---

(٨٣) ثم ذكر المؤلف رحمه اللّه تعالى: إجماع المسلمين في خلافة بني العباس على كفر بنو عبيد القداح الذي ملكوا المغرب ومصر وكانوا يصلون الجمعة

---

(١) قال الفقي: وهم المسمون كذباً وزوراً بالفاطميين، كانت أول دولتهم ببلاد المغرب، ثم ملكوا مصر في سنة ٣٥٨هـ، وأعلنوا على منابرها ومآذنها بلعن الصحابة ورمي الصديقة بنت الصديق –رضي اللّه عنهما– بالإفك تكذيباً للّه الذي أنزل براءتها فيما يتلو الفاس في محاريبهم من كلام اللّه الحق المبين، ثم دعوا الناس إلى عبادتهم وعبادة آبائهم من دون اللّه، وقال فيهم العلماء: ظاهر دينهم الرفض، ولكن حقيقته الكفر المحض، وهم –لعنهم اللّه ولعن كل من يواليهم ويعظمهم ويتبع طريق غيرهم– أول من أقام القباب والمقاصير والمساجد فوق القبور واحتفل بأعياد الموتى، وجرى الضالون على سنتهم اللعينة في ذلك، قبحهم اللّه وأخزاهم.

وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوي» (١٢٨/٣٥): فإن غاية ما يزعمونه أنهم كانوا يظهرون الإسلام والتزام شرائعه وليس كل من أظهر الإسلام يكون مؤمناً في الباطن، إذ قد عرف في المظهرين للإسلام المؤمن والمنافق، قال اللّه تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا باللّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة وائمتها وجماهيرها أنهم كانوا منافقين زنادقة يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فالشاهد لهم بالإيمان شهد لهم بما لا يعلمه، إذ ليس معه شيء يدل على إيمانهم مثل ما يدل على نفقاتهم وزندقتهم وكذلك (النسب) قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم ويذكرون أنهم من أبناء المجموس أواليهود.

وقال رحمه اللّه في (١٦٢/٤): ويجعلون أئمة الباطنية كبني عبيد ميمون القداح الذين ادعوا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهودياً ربيبياً لمجوسي وأظهروا التشيع، ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة: لا الإمامية ولا الزيدية، بل ولا الغالية الذين يعتقدون إلهية علي، أو نبوته، بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم ولهذا كثر تصانيف علماء المسلمين في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وكثر غزو المسلمين لهم... الخ.

نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلادُ حرْب، وغزاهم المسلمون حتّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

(٨٤) ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلاّ أنّهم جمعوا بين الشّرك وتكذيب الرّسول والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب «بابُ حُكْم المُرْتَدّ» وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثمّ ذكروا أنواعاً كثيرةً كلّ نوعٍ منها يُكَفِّرُ ويحلّ دم الرّجل وماله. حتى أنّهم ذكروا

والجماعات ويدعون أنهم مسلمين، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسلمين عليهم بالردة حتى قاتلوهم واستنفذوا ما بأيديهم.

(٨٤) يقول رحمه اللّه تعالى: ومما يدفع شبه هؤلاء، الفقهاء في كل مذهب، ذكروا في كبتهم (باب حكم المرتد) وذكروا أنواعاً كثيرة، حتى ذكروا الكلمة يذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه، أو يذكرها على سبيل المزح، ومع ذلك كفروهم وأخرجوهم من الإسلام بها[1].

---

(١) للفائدة وللعمرفة التامة بما ذكره الشيخ حفظه اللّه أي بالنسبة لما ذكره علماء كل مذهب في الشرك ووسائله.

انظر الرسائل التالية للدكتور عبدالرحمن الخميس جزاه اللّه خيراً وهي:

١- الشرك ووسائله عند علماء الحنفية.

٢- الشرك ووسائله عند علماء المالكية.

٣- الشرك ووسائله عند علماء الشافعية.

٤- الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة.

فقد بين الدكتور الخميس هذا بوضوح في بعض أبواب هذه الرسائل والحمد للّه، وهي من مطبوعات دار الوطن بالرياض سلسلة دراسات في منهج أهل السنة والجماعة.

أشياء يسيرةً عند من فعلها مثل كلمةٍ يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويُقال أيضاً: الذين قال اللّه فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالوا ولَقَدْ قالوا كَلِمَةَ الْكُفر وكَفَروا بَعْدَ إسلامِهِم﴾ [سورة التوبة: آية ٧٤] أما سمعت أنّ اللّه كَفّرَهم بكلمةٍ مع كونهم في زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يجاهدون معه ويصلّون معه ويزكون ويحجون ويوحّدون.

وكذلك الذين قال اللّه فيهم: ﴿قُلْ أبِاللّه وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِئون لاَ تَعْتَذِروا قَد كَفَرْتُمْ بَعْد إيمانِكُم﴾ [سورة التوبة: آية ٦٥-٦٦].

فهؤلاء الذين صرّح اللّه أنّهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنّهم قالوها على وجه المزح، فتأمّل هذه الشّبْهة وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أنْ «لا إله إلاّ اللّه»، ويصلّون ويصومون، (ثم تأمّل) جوابها فإنّه من أنفع ما في هذه الأوراق[1].

(٨٥) ومن الدّليل على ذلك أيضاً ما حكى اللّه عن بني إسرائيل مع إسلامهم

---

(٨٥) يقول رحمه اللّه تعالى رداً على من أورد هذه الشبهة وهي قول بني إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿اجْعَلْ لَنَا إلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهة﴾ وقول أصحاب النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط» يقول أنّ موسى عليه

(١) وذلك أن شبهتهم من أقوى الشبه تلبيساً وأشدها تدليساً فإن من شهد أن لا إله إلا اللّه وصلى وصام عظم إطلاق الكفر عليه عند الجاهل ولم يعلم أنه هدم هذه الأُعمال بشركه ودعوته غير اللّه فلم تنفعه عبادته لأن من لم يأت بالتوحيد الخالص لم يعبد اللّه فلهذا صار هذا الجواب من أنفع الأجوبة.

وعلمهم وصلاحهم أنّهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُم آلِهةٌ﴾[سورة الأعراف: آية ١٣٨]، وقولُ ناس من الصّحابة: «اجعل لنا ذات أنْواطٍ» فحلف صلّى اللّه عليه وسلّم أنّ هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً[1].

الصلاة والسلام لم يجعل لهم ذلك بل قال لهم موسى ﴿بلْ أنتّم قَوْمٌ تجْهَلوُن﴾ وقال محمد صلّى اللّه عليه وسلّم لأصحابه قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لَهم آلهة، وهذا يدل على أنّ موسى عليه الصلاة والسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام قد أنكروا ذلك غاية الإنكار،وهذا هو المطلوب، فإن هذين النَّبِيّيْن الكريميْن لم يقرا أقوامهما على هذا الطلب الذي طلبوه بل أنكروه، وإنهم قالوا هذا الكلام ولم يكفروا لأن النَّبِيّيْن الكريميْن لم يوافقا على طلبهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨/٥) و الترمذي (٤٧٥/٤) والحميدي (٣٧٥/٢) وعبدالرزاق (٣٦٩/١١) وغيرهم من حديث أبي واقد الليثي عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها «ذات أنواط» يعلقون عليها أسلحتهم ويعكفون حولها فقالوا: يا رسول اللّه اجعل لهم ذات أنواط، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «سبحان اللّه وعند الحميدي وعبدالرازق قال: اللّه أكبر هذا كما قال قوم موسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم سنّة سنّة»وسنده صحيح، قال أبو عيسى(الترمذي):هذا حديث حسن صحيح.

الفصل الثالث عشر

حكم من وقع من المسلمين في نوع من الشرك جهلاً، ثم تاب منه

ولكن للمُشركين شبهةٌ يُدلون بها عند هذه القصّة، وهي أنّهم يقولون: فإنّ بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا، فالجواب أن تقول: إنّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي صلّى اللّه عليه وسلّم لم يفعلوا، ولا خلاف في أنّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي صلّى اللّه عليه وسلّم لو لم يطيعوهُ واتَّخَذوا ذَاتَ أنواطٍ بعد نهْيِهِ لكفروا، وهذا هو المطلوبُ.

(٨٦) ولكن هذه القصّة تفيد أنّ المسلم بل العالم قد يقعُ في أنواعٍ من الشّرك لا يدري عنها، فتفيدُ التعلّم والتّحرُّز ومعرفة أنّ قول الجاهل (التّوحيد فهمناه) إنّ هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان.

---

(٨٦) يقول أن هذه القصة تدل على أن الإنسان وإن كان عالماً قد يخفى عليه بعض الأشياء، وهذا يوجب على الإنسان أن يتعلم ويعرف حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري، وأنه إذا قال أنا أعلم وأنا أعرف الشرك وهو لا يعرفه كان ذلك من أخطر ما يكون على العبد لأن هذا جهل مركب، والجهل المركب شرٌّ من الجهل البسيط لأن الجاهل جهلاً بسيطاً يتعلم وينتفع بعلمه، وأما الجاهل جهلاً مركباً فإنه يظن نفسه عالماً وهو جاهل فيستمر في ما هو عليه من العمل المخالف للشريعة.

(٨٧) «وتفيد» أيضاً أن المسلم إذا تكلّم بكلام كفرٍ وهو لا يدري فَنُبِّهَ على ذلك فتاب من ساعته أنّه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم.

(٨٨) «وتفيد» أيضاً أنّه لو لم يكفر فإنّه يغلّظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

---

(٨٧) وتدل هذه القصة أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلاً بذلك ثم نبّه فانتبه وتاب في الحال فإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها، أما لو استمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله.

(٨٨) وتفيد أيضاً قصة «اجعل لنا ذات أنواط» أنّ الإنسان وإن كان لا يدري عن الشيء إذا طلب ما يكون به الكفر فإنه يغلظ عليه تغليظاً شديداً لأن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قال لأصحابه «اللّه أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة» وهذا إنكار ظاهر.

الفصل الرابع عشر

الرد على من زعم الاكتفاء في التوحيد بقول لا إله إلا اللّه ولو أتى بما يناقضها

(٨٩) وللمشركينَ شبهةٌ أخرى يقولون: إنّ النَّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا اللّه، وقال لهُ: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللّه؟»[١] وكذلك قوله: «أمرت أنْ أقاتلَ النّاسَ حتَّى يقولوا لا إله إلاّ اللّه[٢]»، وأحاديثُ أخرى في الكفّ عمّن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أنّ من قالها لا يُكَفّرُ

---

(٨٩) ثم ذكر المؤلف رحمه اللّه شبهة أخرى يلبس بها هؤلاء وهي قول النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لأسامة بن زيد رضي اللّه عنه حين قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا اللّه «أقتلته بعد أن قال لا إله إلاّ اللّه» وما زال يكررها عليه الصلاة والسلام على أسامة حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد، وكذلك قوله صلّى اللّه عليه

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في المغازي (٤/١٥٥٥-١٥٥٦) ومسلم في «الإيمان» (١/٩٦) من طريق أبي ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد رضي اللّه عنهما يقول: «بعثنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى الحُرَقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا اللّه فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللّه، قلت: كان متعوذاً (وعند مسلم قلت: يا رسول اللّه إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا) فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل اليوم» هذا لفظ البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣/٢٦٢) ومسلم (١/٥١-٥٢).

ولا يُقتل ولو فعل ما فعل.

(٩٠) فيُقال لهؤلاء الجهلة: معلومٌ أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلاّ اللّه، وأنّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه ويُصلّون ويدّعون الإسلام، وكذلك الذين حرّقهم عليٌّ بن أبي طالبٍ بالنّار.

(٩١) وهؤلاء الجهلة يقولون: إنّ من أنكرالبعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلاّ اللّه، وأمّا من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع؟ وتنفعه إذا جحد التّوحيد الذي هو أساس دين الرُّسل

وآله وسلّم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ اللّه» وأمثال ذلك من الأحاديث حتى ظنوا أن قول لا إله إلاّ اللّه يغني ويعصم من القتل وإن كان على الشرك من جهة أخرى، وهذا من الجهل العظيم، فليس قول لا إله إلاّ اللّه منجياً من عذاب النار ومخلصاً للإنسان من الشرك إذا كان يشرك من جهة أخرى.

(٩٠) يقول رحمه اللّه: هذه الشبهة تزول بأن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلاّ اللّه، وكذلك الصحابة قاتلوا بني حنيفة، وعلى هذا فإن مجرد قول لا إله إلاّ اللّه لا يعصم الإنسان من الكفر والشرك إذا كان له كفر وشرك من جهة أخرى.

(٩١) يقول رحمه اللّه وهؤلاء الجهلة يقولون إنّ من أنكر البعث فإنه يقتل كافراً، ويقولون من جحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو غيرهما–يعني أو غيرهما من شعائر الإسلام الظاهرة– فإنه يحكم بكفره ويقتل وإن قال لا إله إلا اللّه، فكيف من قال لا إله

ورأسه، ولكنّ أعداء اللّه ما فهموا معنى الأحاديث.

(٩٢) فأمّا حديث أسامة فإنّه قَتل رجلاً ادّعى الإسلام بسبب أنّه ظنّ أنّه ما أدّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرّجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفّ عنه حتّى يُتبيّن منه ما يخالف ذلك وأنزل اللّه تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا[1]﴾[سورة النساء: آية ٩٤] أي تثبّتوا[2]، فالآية تدلّ على أنّه يجب الكفّ عنه والتّثبُّتُ، فإذا تَبيّنَ منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل

إلاّ اللّه وهو يجحد التوحيد الذي هو أساس الدين؟ أفلا يكون هذا أحق بالتكفير ممن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، وهذا إلزام صحيح لا محيد عنه.

(٩٢) يقول المؤلف رحمه اللّه تعالى: فأما حديث أسامة، يعني الحديث الذي قتل فيه أسامة رضي اللّه عنه من قال لا إله إلاّ اللّه حين لحقه أسامة ليقتله وكان مشركاً فقال لا إله إلاّ اللّه، فأخبر بذلك أسامة رضي اللّه عنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فقال له: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلاّ اللّه، قال يا رسول اللّه إنما قالها تعوذاً -يعني اعتصاماً بها من القتل لا إخلاصاً- فجعل النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم يردد

---

(١) أخرجه البخاري في الديات، باب ومن أحياها: (١٢/١٩١)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا اللّه، برقم (٩٦/١)، والبغوي في «شرح السنة»:(١٠/٢٤١-٢٤٢).

(٢) ﴿فتبينوا﴾ قرأ حمزة والكسائي ها هنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والثاء في التثبيت، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وقرا الباقون بالياء والنون من التبين يقال تَبيَّنْتُ الأمر إذا تأملته. أهـ «معالم التنزيل» (٢/٢٦٩) وأنظر «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/٥٥١-٥٥٢)، طبعة دار المعرفة.

لقوله تعالى: «فَتَبَيَّنُوا».

(٩٣) ولو كان لا يُقتلُ إذا قالها لم يكن للتثبُّت معنى، وكذلك الحديث الاخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه وأنّ من أظهر التَّوحيد والإسلام وجب الكفّ عنه إلاّ أنْ يُتَبَيَّنَ منه ما يناقض ذلك، والدَّليل على هذا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم هو الذي قال: «أقتلته بعد ماقال: لا إله إلا اللّه؟»(١) هو الذي قال في الخوارج:

ذلك عليه: أقتلته بعد أن قال لا إلهَ إلاّ اللّه، فما زال يكررها حتى قال أسامة تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد» فهذا الحديث يستدل به من كانت حاله مثل حال الذين تكلم عنهم الشيخ رحمه اللّه حيث يقولون نحن نقول لا إله إلاّ اللّه، ومن قال لا إله إلاّ اللّه فهو مسلم ومعصوم الدم، ولكن الشيخ رحمه اللّه أجاب عن هذا الاستدلال بأنه يجب الكف عمن قال لا إله إلاّ اللّه، ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين واستدل بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية، فأمر اللّه تبارك وتعالى بالتبين وهذا يدل على أنّه إذا تبين أنّ الأمر كان خلاف ما كان عليه فإنّهُ يجب أنْ يعامل بما يتبين من حاله، وعلى كلٍّ حال فإنّ حديث أسامة رضيَ اللّه عنه ليس فيه دليل على أنّ من قال لا إله إلاّ اللّه وهو مشرك يعبد الأصنام والأموات والملائكة والجن وغير ذلك يكون مسلماً.

(٩٣) رد المؤلف رحمه اللّه تعالى: على هذه الشبهة بقوله: لو كانت كلمة لا إله إلا اللّه مجدية على كل حال لم يكن للأمر بالتبين فائدة، لأن الأمر بالتبين يحتاج إليه إذا كنا في شك من ذلك، أما لو كان الأمر واضحاً فإنه لا حاجة إلى التبين، واستدل أيضاً بأن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قال لأسامة: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا اللّه»

---

(١) سبق تخريجه.

«أينما لقيتموهم فاقتلوهم[1] لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[2]» مع كونهم من أكثر النّاس عِبادة، وتهليلاً وتسبيحاً، حتّى أنّ الصَّحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وتعلّموا العلم من الصّحابة فلم تنفعم «لا إله إلاّ اللّه» ولا كثرة العبادة، ولا ادّعاء الإسلام لمّا ظهر منهم مخالفة الشريعة.

(٩٤) وكذلك ما ذكرناهُ من قتال اليهود وقتال الصّحابة بني حنيفة، وكذلك

هو الذي قال:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ اللّه وأن محمداً رسول اللّه، ويقيموا الصلاة...» واستدل أيضاً بأن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بين أنه يقاتل الخوارج مع أن الخوارج يصلون ويذكرون اللّه ويقرؤن القرآن وهم قد تعلموا من الصحابة رضي اللّه عنهم ومع ذلك لم ينفعهم ذلك شيئاً لأن الإيمان لم يصل إلى قلوبهم كما قال النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «إنّه لا يجاوز حناجرهم».

(٩٤) وهكذا استدل المؤلف رحمه اللّه تعالى أنّ النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب وغيره (٣/١٣٢١-١٣٢٢) ومسلم في الزكاة (٢/٧٤٦-٧٤٧) وغيرهم من حديث علي رضي اللّه عنه قال: إذا حدثتكم عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلئن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدث الأسنان، سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فإينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة» هذا لفظ البخاري.

(٢) قال الحافظ في «الفتح»: وفي رواية سعيد بن مسروق: «لئن .... عاد» ولم يتردد فيه وهو الراجح. أخرجه البخاري في المغازي (٦/١٥٨) بلفظ ثمود، وأخرجه مسلم في الزكاة (٢/٧٤٢) بلفظ=

أراد صلّى اللّه عليه وسلّم أن يغزو بني المصطلق لمّا أخبره رجلٌ منهم أنّهم منعوا الزكاة حتّى أنزل اللّه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [سورة الحجرات: آية ٦].

وكان الرّجل كاذباً عليهم(١)، وكلّ هذا يدلّ على أنّ مراد النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في الأحاديث الّتي احتجّوا بها ما ذكرناه.

أراد أن يقاتل بني المصطلق لما قيل أنهم منعوا الزكاة، ولكنّ الله أنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية، وهذا يدل على أنه ليس مجرد قول لا إله إلاّ اللّه مانعاً من القتل بل يجوز قتال من قالها إذا وجد سبب يقتضي قتاله.

=ثمود، وأخرجه أيضاً البخاري في التوحيد (٢٧٠٣/٦) ومسلم في الزكاة (٧٤٢/٢) بلفظ عاد من حديث أبي سعيد الخدري.

(١) قال الشيخ بدر في تخريجه لمتن «كشف الشبهات» أخرجه أحمد (٢٧٩/٢) والطبراني (٣١٠/٣-٣١١) وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٣٥١/٧) من حديث الحارث ابن ضرار الخزاعي، وأورد الهيثمي في «المجمع» (١٠٩/٧) وقال: رجال أحمد ثقات. أهـ.

قلت: في اسناده دنيا الكوفي، قال عنه ابن حجر: «مقبول» يعني حديثه يتابع، وإلا فليّن. وعزاه السيوطي في «الدر» (٨٧/٦) إلى ابن منده وابن مردويه وجود اسناده، وأخرجه ابن جرير (١٢٣/٢٦) والطبراني من حديث أم سلمة، قال الهيثمي في «المجمع» (١١٠/٧-١١١): «فيه موسى ابن عبيدة، وهو ضعيف» أهـ. وعزّاه السيوطي إلى ابن راهويه وابن مردويه أهـ.

قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٤٨/٧): وهذه القصة معروفة من وجوه كثيرة... أهـ.

الفصل الخامس عشر

الفرق بين الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر والاستغاثة بغيره

(٩٥) وَلهمْ شبهةٌ أخرى وهي ما ذكر النبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنّ النّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثمَّ بنوح، ثمّ بإبراهيم، ثُمَّ بموسى، ثُمَّ بعيسى، فكلُّهم يعتذر[١] حتّى ينتهوا إلى رسولِ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قالوا فهذا يدُلُّ على أنّ الاستغاثة بغير اللّه ليست شركاً.

---

(٩٥) ولهم شبهة أخرى أنّ النّاس يستغيثون يوم القيامة بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، حتى تنتهي إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، والجواب عن هذا الحديث أو عن هذا الدليل أن النّاس لا يستغيثون بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم يستشفعون عند اللّه عز وجل ليزيل اللّه هذه الشدة، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء، ومن يستشفع بالمخلوق ليزيل اللّه عنه ذلك، كما خص الحال في الذين طلب الناس منهم أن يشفعوا لهم عند اللّه، أعني آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ثم محمداً صلّى اللّه عليه وسلّم. ثم يقوم عليه الصلاة والسلام فيستأذن فيأذن اللّه له فيشفع.

---

(١) حديث الشفاعة أخرجه أحمد (٢/٤٣٥-٤٣٦) والبخاري (٨/٣٩٥-٣٩٦) ومسلم (١/١٨٤-١٨٥) والترمذي (٢٤٣٤) [متن كشف الشبهات بتخريج بدر البدر].

والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإنّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصّة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [سورة القصص:آية ١٥].

(٩٦) وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لايقدر عليها إلاّ اللّه.

(٩٧) إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا اللّه أن يحاسب النّاس حتّى يستريح أهل الجنّة من كرب الموقف، وهذا جائزٌ في الدُّنيا والاخرة، وذلك أن تأتي عند رجلٍ صالح حيٍ يجالسك ويسمع كلامك

ثم هناك جواب آخر وهو ما ذكره المؤلف رحمه اللّه وهو أننا لا ننكر الاستغاثة بالمخلوق في أمر يقدر عليه لقوله تعالى في قصة موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ وإنما الذي ينكر أن يستغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه.

(٩٦) يقول رحمه اللّه: وكما أن الإنسان يستغيث بأصحابه عند القتال وفي الحرب وغيره فإن هذا جائز لأنهم يقدرون على هذا، وإنما الذي ننكره -يقول رحمه اللّه-: هو أن يستغيث الإنسان بالأموات، أو بآدمي في أمر لا يقدر عليه هذا هو الذي ينكر.

(٩٧) هذا الكلام أراد المؤلف رحمه اللّه تعالى أن يرد شبهة من قالوا أنّ الناس يستغيثون بالأنبياء يوم القيامة متى يقضي اللّه بينهم ويريحهم من الموقف فأجاب

تقول له: ادعُ اللّه لي كما كان أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يسألونه ذلك في حياته، وأمّا بعد موته،فحاشا وكلا أنّهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر

رحمهُ اللّه عن الشبهة بأن هذا من باب طلب دعائهم إلى اللّه عز وجل أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم، وليس دعاءاً لهم بل طلب دعائهم لربهم عز وجل وهذا أمر جائز كما أن الصحابة رضي اللّه عنهم يسألون النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أن يدعوا اللّه لهم، ففي «الصحيحين» من حديث أنس رضي اللّه عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة[١] والنبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يخطب فقال يا رسول اللّه هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادعوا اللّه يغيثنا، ولم يقل فأغثنا يا رسول اللّه، بل قال فادعوا اللّه يغيثنا، فرفع النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يديه وقال اللّهم أغثنا ثلاث مرات، فأنشأ اللّه سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت، ولم يرو الشمس أسبوعاً كاملاً، والمطر ينهمر، وفي الجمعة التالية دخل رجل أو الرجل الأول فقال يا رسول اللّه غرق المال وتهدم البناد فادعوا اللّه تعالى يمسكها عنا، فدعا النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ربه وقال: اللّهم حولينا ولا علينا، اللّهم على الآكام والضراب وخايت الشجر، فانفرجت السحابة وخرج الصحابة يمشون في الشمس.

فهذا طلب دعاء من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم للّه عز وجل وليس دعاء لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ولا استغاثة به، وبهذا يعرف أن هذه الشبهة التي ليس لهؤلاء أن يبرروا موقفهم وليبرروا شركهم شبهة لا تنفعهم بل هي حجة داحضة عند اللّه عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة وغيره (١/٣١٥-٣١٦) ومسلم في الاستسقاء (٢/٦١٢-٦١٣).

السّلف على من قصد دعاء الله عند قبره، بدعائه نفسه؟ بأبي هو وأمي.

(٩٨) ولهم شبهةٌ أخرى وهي قصّةُ إبراهيم لمّا ألقي في النّار اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة[١]؟ فقال إبراهيم أمّا إليكك فلا، فقالوا فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنّه لا بأس أن تأتي لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك، وهذا حق إلا أنّه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدناً له كلما رأى رجلاً صالحاً قال ادعو الله لي، فإن هذا ليس من عادة السلف رضي الله عنهم، وفيه اتكال على دعاء الغير، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيراً له لأنّه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، فإن الدعاء من العبادة كما قال الله تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية، والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله عز وجل في حصول المنفعة ودفع المضرة، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله يعتمد على ذلك الغير وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه بالله عز وجل، وهذا الأمر به خطورة وقد قال شيخ الإسلام رحمهُ الله إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعوا له فإنّ هذا من المسألة المذمومة فلا ينبغي للإنسان إذا طلب من شخص أنْ يدعوا لهُ أن ينوي بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له فإنه يؤجر على هذا وربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ولك بمثلها.

(٩٨) هذه أيضاً شبهة يحتج بها هؤلاء الذين يستغيثون بالأموات والأولياء، وخاصة أن جبريل عليه الصلاة والسلام لما ألقي إبراهيم في النار عرض له في الهواء

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/٤٥) ثنا الحسن ثنا الحسين ثنا المعتمر بن سليمان=

فالجواب أنّ هذا من جنس الشّبهة الأولى فإنّ جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمرٍ يقدر عليه، فإنّه كما قال اللّه تعالى فيه: ﴿شديد القوى﴾ فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره اللّه أن يضع

فقال: ألك حاجة؟ فظنوا أنّ هذا من باب الدعاء، ولكن إبراهيم قال لا، أما إليك فلا وأما إلى اللّه فنعم، وهذا العرض الذي عرضه جبريل إنما عرض عليه أمراً ممكناً يمكن أن يفِ به فلو قال إبراهيم نعم لي حاجة أريد أن تعينني لأعانه جبريل بأمر اللّه وإذنه،

=التميمي عن بعض أصحابه قال جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يلقي أو يقمط ليلقى في النار قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا. وسنده فيه جهالة أصحاب المعتمر والأثر يظهر أنه من الاسرائيليات ورد بلفظ أتم منه عند البغوي في «تفسيره» (٥/٣٢٧)، قال: وروي عن أبيّ ابن كعب أن إبراهيم قال: حين أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار واستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال جبريل فسل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٨/٥٣٩) وأول هذا الحديث معروف وهو قوله: «أما إليك فلا» وأما قوله: «حسبي من سؤالي» فكلام باطل لأنه:

١- خلاف ما ذكره اللّه عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء من دعائهم للّه ومسألتهم إياه.

٢- وهو خلاف ما أمر اللّه به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة كقولهم ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

٣- ودعاء اللّه وسؤاله والتوكل عليه عبادة للّه مشروعة بأسباب كما يعذره بها فكيف يكون مجرد العلم مسقطاً لما خلقه وأمر به؟ واللّه أعلم أ.هـ

وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/٢٥٠) قال ابن تميمة موضوع، قال الألباني في الضعيفة (١/٢٨) لا أصل له ثم قال: وبالجملة فهذا الكلام المعزو لإبراهيم عليه السلام لا يصدر من مسلم يعرف منزلة الدعاء في الإسلام فكيف يقوله من سمانا المسلمين؟!، وأورد بعضهم من قول إبراهيم عليه السلام وهو من الإسرائيليات ولا أصل له في المرفوع أ.هـ وانظر كلامه هناك فإنه مهم، ونسبه الحافظ ابن كثير إلى بعض السلف رحمهم اللّه (٣/١٩٣).

إبراهيم عنهم في مكانٍ بعيدٍ لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غنيٍّ له مال كثيرٌ يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه ويهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه اللّه برزقٍ لا مِنّةَ فيه لأحدٍ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشِّرك لو كانوا يفقهون(١)؟

بحيث ينقذه من النار كيف شاء اللّه عز وجل، وليس المعنى أن جبريل عرض عليه شركاً يشرك به مع اللّه أحداً.

ثم ضرب المؤلف بهذا مثلاً رجل غني أتى إلى فقير فقال هل لك حاجة في المال؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك؟ فإنما هذا مما يقدر عليه، ولا يعد هذا شرك لو قال نعم لي حاجة أقرضني أو هبني.

---

(١) قال ابن مانع: الأموات لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا استغاثة من استغاث بهم وذلك بنص القرآن، قال تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ فعباد الأموات لا يزالون وهم في ضلال ما داموا يدعونهم لمخالفتهم نص القرآن.

الفصل السادس عشر

وجوب تطبيق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي

(٩٩) ولنختمِ الكلامَ بمسألةٍ عظيمةٍ مهمّةٍ تفهم ممّا تقدّم ولكن نفرد لها الكلامَ لعظمِ شأنهَا ولكثْرَة الغلط فيها فنقول:

ولا خلاف أنّ التّوحيد لا بدّ أنْ يكون بالقلب واللّسان والعمل فإن اختلّ شيءٌ منْ هذا لمْ يكن الرّجلُ مسلماً، فإن عرف التّوحيد ولم يعمل به فهو كافِرٌ

---

(٩٩) ختم المؤلف هذه الشبهات بمسألة عظيمة هي أنّها لا بد أن يكون الإنسان موحداً بقلبه وقوله وعمله، فإن كان موحداً بقلبه ولكنه لم يوحد بقوله أوبعمله فإنه غير صادق في دعواه، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل لقول النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم:«ألا وأن في الجسدمضغةً إذا صَلُحت صلُحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب[1]» فإذا وحَّد اللّه كما زعم بقلبه ولكنه لم يوحده بقوله أو فعله فإنه من جنس فرعون الذي كان مستيقناً بالحق عالماً لكنه أصرّ وعاندَ وبقيَ ما كان عليه من دعوى الربوبية، وإن كان الخالق عز وجل، قال اللّه تعالى: ﴿وجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسَهُم ظُلْمَاً وَعُلُواً﴾ وقال تعالى عن موسى أنّه قال لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤلاَءِ إلاّ رَبُّ السَموات والأرض بَصَائِرَ﴾.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (١/٢٨-٢٩) ومسلم في المساقاة (٣/١٢١٩-١٢٢٠) وغيرهما من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه.

معاندٌ ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما.

(١٠٠) وهذا يغلط فيه كثيرٌ من النَّاس يقولون: إنّ هذا حقٌ ونحن نفهم هذا ونشهد أنّه الحقٌّ، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلاّ من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار.

(١٠١) ولم يدر المسكين أنّ غالب أئمّة الكفر يعرفون الحقّ، ولم يتركوه إلاّ لشيءٍ من الأعذار كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوا بآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾.[سورة

---

(١٠٠) ويقول رحمه الله: إنّ هذا معلومٌ عند كثير من الناس حيث يقولون نحن نعرف أنّ هذا هو الحق ولكننا لا نقدر عليه لمخالفته أهل بلدنا ونحو ذلك من الأعذار، وهذا العذر لا ينفعهم عندالله عز وجل، لأن الواجب على المرء أن يلتمس رضا الله عز وجل ولو سخط الناس، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله عز وجل، وهذا يشبه من يحتجون بما كان عليه آبائهم وهم الذين حكى الله عنهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءابَائَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ والآية الأخرى ﴿وإِنّا عَلَىَ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.

(١٠١) يقول: أن هذا المسكين لم يعلم أنّ الذين أشركوا وكفروا كانوا يعرفون الحق لكنهم عاندوا فخالفوا الحق كما قال تعالى: ﴿الّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فكثير من هؤلاء الكفار يعرفون الحق ولكنهم يكرهونه ولا يتبعونه، ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق، لأنَّ الجاهل بالحق يُعذر وقد يعلم فيتنبه ويتعلم بخلاف المعاند المستكبر، ولهذا كان اليهود مغضوب عليهم لعلمهم بالحق وتركهم إياه، وكان النصارى ضالّين لأنهم لم يعرفوا الحق، لكن بعد بعثة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كان النصارى عالمين فكانوا مثل اليهود في كونهم

التوبة: آية ٩] وغير ذلك من الايات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [سورة البقرة: آية ١٤٦].

(١٠٢) فإن عمل بالتّوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، فهو منافقٌ، وهو شرٌ من الكافر الخالص ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة النساء: آية ١٥٤].

(١٠٣) وهذه المسألة مسألةٌ كبيرة طويلةٌ تُبيّنُ لك إذا تأمّلتها في ألسنةِ النّاس ترى من يعرفُ الحقَّ ويتركُ العمل بهِ، لخوف نقص دنيا أو جاهٍ أو مداراةٍ لأحد،

مغضوب عليهم.

(١٠٢) يقول رحمه: الله فإن عمل بالتوحيد ظاهراً أي بالقول وبالعمل، ولكنه لم يعلمه بقلبه ولم يفهمه فإنه منافق، وهو شر من الكافر المصرح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهذا لا شك فيه من كان معانداً ويعلم الحق ولكنه كرهه بقلبه ولم يطمئن إليه، ولم يستقر به ولكنه أظهر الالتزام بالشريعة خداعاً للّه ولرسوله وللمؤمنين، وأمّا من كان لا يفهمهُ بالكلية ولا يدري ولكنه يعمل كما يعمل الناس ولم يتبين له ذلك الشيء الذي يعلمونه والمقصود منه، فإن الواجب أن يبلغ أو يعلم، فإن أصرّ على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق.

(١٠٣) إنّ هذه المسألة مسألة طويلة يعني أن تتبعها يطول بواسطة أن كثيراً من الناس قد يأبى الحق خوفاً من أن يلام عليه أو رجاء لجاه أو دنيا، فيحتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفها تماماً حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً.

ثم أرشد رحمهُ اللّه إلى تدبر آيتين من كتاب اللّه عز وجل، أولاهما قوله تعالى:

وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب اللّه: أولاهما، قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة: آية ٦٦].

(١٠٤) فإذا تحققت أنّ بعض الصّحابة الذين غزوا الرّوم مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، كفروا بسبب كلمةٍ قالوها على وجه اللعب والمزح، تَبَيَّنَ لك أنّ الّذي يتكلّم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراةٍ لأحدٍ، أعظم ممّن يتكلّم بكلمةٍ يمزح بها.

(١٠٥) والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمان وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِم غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَلَهُمْ

﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ﴾ وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين جعلوا يسبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأصحابه فأنزل اللّه فيهم ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ الآيات.

(١٠٤) يقول رحمه اللّه تعالى: إذا كان هؤلاء المنافقون الذين غزو مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الروم وهو يشير إلى غزوة تبوك كفروا بكلمة قالوها على سبيل المزاح لا على سبيل الجد، فما بالك بمن يكفر كفراً جدياً يريده بقلبه من أجل خوف فوات مركز أو جاه أو ما أشبه ذلك فإنه يكون أعظم وأعظم.

فالواقع أنَّهم كلهم كفروا بعد إيمانهم سواء فعلوا ذلك استهزاءً أو فعلوه على سبيل الجد والكفر، فإن كل إنسان يظهر الإسلام ويبطن الكفر فهو منافق على أي وجهة كان.

(١٠٥) تقول الآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ بَعْدَ إيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

عَذَابٌ عَظِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيا على الاخِرَةِ﴾ [سورة النمل: آية ١٠٦-١٠٧].

فلم يعذر اللّه من هؤلاء إلاّ من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان.

وأمّا غيرُ هذا فقد كفر بعد إيمانه سواءٌ فعل خوفاً أو مداراةً، أو مشحّةً بوطنه أو أهله أو عشيرتهِ أو مالهِ، أو فعلَ على وجْهِ المزح أو لغير ذَلِكَ مِن الأغراض إلاّ المكره.

(١٠٦) فالاية تدلّ على هذا من وجهين:

الأوّل قوله تعالى: ﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾، فلم يستثن اللّه تعالى إلاّ المكره.

ومعلومٌ أنّ الإنسان لا يكره إلاّ على الكلام أو الفعل، وأمّا عقيدة القلب فلا يكره أحدٌ عليها.

مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَان....﴾ الآيات فإن هذه الآية تدل على أنه لا يعذر أحد قال كلمة الكفر إلا من قالها مكرهاً، وأما من قالها على سبيل الاختيار لأي غرض من الأغراض سواءً كان مزاحاً، أو مشحة في وظيفة، أو دفاعاً عن وطن، أو ما أشبه ذلك فإنه يكون كافراً، لم يعذر اللّه عز وجل من تكلم بكلمة الكفر، إلا من كان مكرهاً بشرط أن يكون قلبه مطمئنٌ بالإيمان.

(١٠٦) يقول على أنْ دلالة الآية على ما ذكرناه رحمه اللّه من وجهين:

الوجه الأول: أن الإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل، أما عقيدة القلب فإن

(١٠٧) والثّاني قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيا عَلَى الآخِرَةَ﴾.

فَصَرّح أنّ الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدّين ومحبّة الكفر، وإنّما سببهُ أنّ لهُ في ذلك حظّاً من حظوظ الدّنيا فآثره على الدّين.

واللّه سبحانه وتعالى أعلمُ وأعزُّ وأكرَمُ، وصلّى اللّه على نبيّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

(تمت والحمدُ لِلّه رب العالمين)

الإنسان لا يكره عليها لأنها خفية باطنة، لا يمكن لأحد أن يكره شخصاً فيقول: لابد أن نعتقد كذا وكذا، لأن هذا أمر باطل لا يعلم له، وإن الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أو الفعل.

(١٠٧) ذكر المؤلف رحمه اللّه تعالى في آخر كتاب كشف الشبهات الوجه الثاني من دلالة الآية على أن من كفر وتمسك بما هو عليه من الكفر من أجل الجاه والرياسة وأن يحمد عند قومه أن اللّه تعالى لم يستثن في الآية إلا من أكره، والإكراه لا يكون إلا على قول أو فعل، أما إعتقاد القلب فلا يطلع عليه إلا اللّه ولا يُتَصَوَّر فيه الإكراه.

والثاني: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فكان كفرهم سببه أنهم استحبوا الدنيا على الآخرة، ويعنى بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه أو مال أو رئاسة أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بما فيها على الآخرة، وكفره من أجل إيثار الدنيا فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مستحباً للكفر ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر، وذلك أن بعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبه، وبعض الناس يكفر بمال أو جاه أو رئاسة، وبعض الناس يكفر لينال بذلك شيئاً من السلطان أو ما أشبه ذلك.

المهم أنّ الأغراض كثيرة ومنها استحباب الدنيا على الآخرة.

نسأل اللّه تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن لا يزيغ
قلوبنا بعد إذ هدانا، والحمدُ للّه رب العالمين
وصلِّ اللّهم على نبينا محمد، وعلى
آله وصحبه أجمعين
انتهى الشرح
واللّه تعالى
أعلم.

أسئلة أجاب عليها

الشيخ ابن عثيمين حفظه اللّه

عند شرحه للكتاب

السؤال الأول:

ما رأيكم فضيلة الشيخ في من فسر لا إله إلاّ اللّه بأربعة تعريفات، أول هذه التعريفات إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء، وإدخال اليقين الصادق على ذات اللّه؟ والتعريف الثاني: لا معبود إلاّ اللّه؟ والتعريف الثالث: لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا اللّه؟ والتعريف الرابع: لا معبود بحق إلا اللّه؟

الجواب:

هذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح، وليس المراد به أن تتيقن باللّه عز وجل وتخرج اليقين من غيره لأن هذا لا يمكن، فإن اليقين ثابت في غير اللّه ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيم ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقين﴾ وتيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافي التوحيد، وعلى هذا فالتفسير المذكور مردود.

أما التعريف الثاني: لا معبود إلا اللّه:

أيضاً هذا التعريف لا يصح على ظاهره، لأن هناك أشياء عبدت من دون اللّه عز وجل، لكن يجب أن يلحق بالتعريف لا معبود حق إلاّ اللّه.

وأما التعريف الثالث: لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلاّ اللّه:

وتفسيرها بهذا أيضاً باطلٌ، لأن هذا التفسير لتوحيد الربوبية فقط، وهذا قد أقر به المشركون ولكن لم يدخلهم في الإسلام ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم.

والتعريف الرابع: لا معبود بحق إلا اللّه:

هذا التفسير هو الصحيح، لا معبود بحق إلاّ اللّه، يعني لا أحد يُعبد بحق وهو مستحق للعبادة إلاّ اللّه وحدهُ لا شريك له، ولكن لو قلنا لا معبود حق إلاّ اللّه

كان أحسن وأوضح، لأنّ اللّه يقول ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقّ﴾ [سورة الحج: آية ٦٢].

السؤال الثاني:

ما صحة قول من يقول في أن التعريف الأول وهو إدخال اليقين الصادق على ذات اللّه هو من عقيدة أهل الحلول والاتحاد؟.

الجواب:

هذا يمكن أن يصح فيه لكنهُ من وجه بعيد، لأننا لو قلنا أنّ اليقين الصادق معنى لا إلهَ إلاّ اللّه لكان كلُّ الأشياء التي أمامنا نتيقن منها.

السؤال الثالث:

المصنف رحمه اللّه تعالى قال فإنك إذا عرفت أنّ الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذر، فهل هذا يعني أن الشيخ رحمه اللّه لا يرى العذر بالجهل؟.

الجواب:

لا أظن ذلك من الشيخ، لأن الشيخ له كلام آخر يدل على العذر بالجهل، وقد ذكرنا أثناء شرحنا على هذه الجملة، ذكرنا أن الجهل قد يعذر فيه الإنسان وقد لا يعذر، فإنه إذا فرط في العلم وترك وقد أثيرت حولهُ معالم الحق فإنّه لا يعذر، أمّا الجاهل جهلاً مطبقاً الذي لا يدري عن الشيء فهذا يعذر، وقد ذكرنا الأدلة على ذلك فيما سبق.

السؤال الرابع:

وقوله رحمهُ اللّه تعالى: فالواجب عليك أن تتعلم من دين اللّه ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين. فهل يقصد الشيخ وجوب العين أم وجوب الكفاية؟.

الجواب:

الواجب على الإنسان من العلم ما يقدم به دينه، وهذا الواجب واجب عيني، أمّا ما يقدّم به دين الغير فهذا واجب كفائي، هذا هو الضابط فيما يجب من العمل عيناً وما يجب على وجه الكفاية.

السؤال الخامس:

وعند قول المصنف رحمهُ اللّه: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه بالنار كلهم يدعون إلى الإسلام، فكيف الجمع بين ما فعل علي رضي اللّه عنه وقول النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «لا يعذب بالنّار إلاّ ربّ النّار»؟.

الجواب:

ورد عن الصحابة رضي اللّه عنهم أنهم عاقبوا بالتحريق في بعض المعاصي، مثل تحريق اللوطي ومثل فعل علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه حين حرق السبأية، وكأنّهم رضي اللّه عنهم يريدون المبالغة في التنكيل، ورأوا أنّ هذا أشد وأعظم في التنكيل وأنّه إذا لم يحصل الرادع إلا بذلك كان جائراً، بخلاف ما إذا كان الرادع يحصل من دونه فإنّه لا يعذب بالنار، على أنّه قد ورد في قصة علي بن أبي طالب أنّه لما قيل له أن عبد الله بن عباس رضي اللّه عنه قال: لو كنت

مكان علي لقتلهم لقول النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «من بدّل دينه فاقتلوه» وما أحرقتهم بالنار لقوله: «لا يعذب بالنّار إلاّ اللّه[1]».

أنّه قال رضي اللّه عنه: ما أسقط ابن أم الفضل عليّ [2] الهناة، فكأنّه تبين له فعله هذا هناة أي شيء يلام عليه.

السؤال السادس:

وهل يفهم من قوله رحمه اللّه: إذا كنت تقر أنّ من صدق الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة أنّه كافر حلال الدم بالإجماع، أنّ المصنف رحمهُ اللّه لا يكفر تارك الصلاة تهاوناً؟.

الجواب:

إنّما ذكر رحمهُ اللّه المسألة التي أجمع عليها العلماء، وهي أنّ من تركها جاحداً لوجوبها بل جحد وجوبها وصلاها فهو كافرٌ بالإجماع ما لم يكن

(١) يشير الشيخ إلى ما أخرجه البخاري (١٠٧٩/٣-١٠٨٠) عن أبي هريرة أنه قال بعثنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في بعث وقال لنا: «إن لقيتم فلاناً وفلاناً لرجلين من قريش سماهما فحرقوهما بالنار» قال: ثم أتيناه نودعه حين أردنا الخروج فقال: «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار، وإن النار لا يعذب بها إلا اللّه فإن أخذتموهما فاقتلوهما» فورد من حديث الأسود أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار، أخرجه أبو داوود في «سننه» في الجهاد (٦١/٢-٦٢) طبعة الحوت وفيه قصة قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٧٩٩/١)، قلت: هذا إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير محبوب بن موسى وهو ثقة، وعبد الرحمن ابن عبد اللّه هو ابن مسعود قد سمع من أبيه على الراجح عندنا كما سبق بيانه عند الحديث (١٩٧) أ.هـ.

(٢) يشير الشيخ إلى ما أخرجه أحمد (١٧/٢ص/ ٢٨٢-٢٨٣) والدارقطني (١٠٨/٣) في قصة تحريق علي رضي اللّه عنه للزنادقة وفيه فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن أم عباس، قال الدارقطني هذا ثابت صحيح ووقع عند الترمذي(٩٥/٤) بلفظ فبلغ ذلك علياً فقال صدق ابن عباس.

حديث عهد بالإسلام لا يعرف شرائع الإسلام.

السؤال السابع:

ما هو تعريف الشبهة؟.

الجواب:

الشبهة هي أن يشتبه على الإنسان الحق فلا يدري ما هو الحق، إمّا لأدلة ضعيفة، وإما لقصور فهمه أو غير ذلك من الأسباب، المهم أن يلتبس عليه الأمر فلا يدري ما وجهه، والشبهة قد يحتج بها المبطل على باطله وهي ليست بحجة، فمثل هذا يعبر عنه العلماء بالشبهة لأنه يريد أن يشبه بها على الناس، وقد يكون الأمر مشبهاً عليه حقيقة فيكون ممن أضل اللّه سعيه وأنّه يحسب أنه يحسن صنعاً.

السؤال الثامن:

أن الإيمان قولٌ وعمل، هل الخلاف بين أهل السنة الذين يقولون بهذا وبين من يقول أنّ الإيمان قولٌ فقط خلاف لفظي أم خلاف حقيقي؟

الجواب:

الفرق بين الخلاف اللفظي والخلاف الحقيقي أنّ الخلاف اللفظي يختلف فيه التعبير فقط، ويكون الحكم واحداً يتفق عليه الجميع، وأمّا الخلاف المعنوي هو أن يختلف النّاس في المعنى الذي يترتب عليه اختلاف الحكم، وهذا هو الأكثر في الاختلافات ممن قال أنّ الإيمان هو اعتقاد القلب وقول اللسان فقط وأخرج منه الأعمال، فإنْ كان يريد أنّ الأعمال لا تزيد في الإيمان شيئاً ولا تنقص شيئاً فهذا إختلاف معنوي ولا شك، وإن أراد بذلك أن لا نسميه إيماناً وأنّ الثواب يزيد وينقص لذلك فهذا يشبه أن يكون خلافاً لفظي وهذا هو الغالب على مرجئة الفقهاء.

فهرس الموضوعات